

الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ رَثَوْا أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ الْمَوْتِ

جَمَعَ وَتَنَسَّقَ: عَبْدُ الْمَعِينِ الْمَلُوحِي

دَارُ الْحَضَارَةِ الْجَدِيدَةِ
بَيْرُوتَ

المقدمة

عندما كنت في الصين وأصبت بجلطة في الدماغ وشلل في الشق الأيسر وأشرفت على الموت بدأت بقصيدي في رثاء نفسي ومطلعها:

تمنيت يابن الريب لو بت ليلة (بجنب الغضا تَرْجِي القلاص النواجيا)
وأمنيقي لو بت في حصّ ليلة فأسبح في العاصي وألقي لداتيا
وبعد عودتي إلى دمشق من الله عليّ بالشفاء فأتممت القصيدة وتكرم الأخ الأستاذ مدحة عكاش، صاحب مجلة الثقافة، فنشرها على حسابه الخاص عام ١٩٨٤ .

وخلال سنوات مرضي، ثم شفائي بحمد الله زاد اهتمامي بالشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت، وبدأت أجمع أشعارهم المتناثرة في بطون كتب التراث العربي، وفي دواوينهم إن كانت لهم دواوين فتجمعت لدي قصائد غير قليلة لشعراء كان بعضهم مشهوراً، وكان بعضهم مغموراً فرغيت في جمع هذه القصائد في كتاب واحد، خدمة للتراث العربي وتيسيراً للقارئ العربي المهتم بتراث أجداده.

وصنفت هؤلاء الشعراء حسب تسلسلهم في الزمان، لا حسب قيمتهم أو قيمة قصائدهم. وبعد أن صنفت هؤلاء الشعراء أضفت إلى الكتاب قصائد ومقطوعات نظمها بعض الشعراء خلال حياتهم وهم يفكرون بمصيرهم، أو رثوا بها أصدقاءهم وكتبوها على قبورهم أو نظموها لتكتب على قبورهم بعد موتهم وجمعتها تحت عنوان (متفرقات) وخصصت كل شاعر منهم بكتابة اسمه قبل أبياته:

أما الشعراء الذين رثوا أنفسهم فهم حسب ترتيبهم الزمني :

- ١ - يزيد بن خذاف. (... - ...) ولم أستطع تحديد عصره وحياته.
- ٢ - بشر بن أبي خازم. (... نحو ٩٢ ق.هـ) (... نحو ٥٣٣ م).
- ٣ - طرفة بن العبد. (نحو ٨٦ - ٦٠ ق.هـ) (نحو ٥٣٨ - ٥٦٤ م).
- ٤ - صريم بن معشر (أفنون) (... نحو ٦٠ ق.هـ) (... نحو ٥٦٤ م).
- ٥ - عبد يغوث بن صلاة (... - ٤٠ ق.هـ) (... - ٥٨٤ م).
- ٦ - قيس بن الجذادية (... - ...) (... - ...).
- ٧ - خبيب بن عدي. (... - ٤ هـ).
- ٨ - سحيم عبد بني الحسحاس. (... - نحو ٤٠ هـ) (... نحو ٦٦٠ م).
- ٩ - هذبة بن خثرم. (... - نحو ٥٠ هـ) (... - نحو ٦٧٠ م).
- ١٠ - مالك بن الريب. (... - نحو ٦٠ هـ) (... - ٦٨٠ م).
- ١١ - مرة بن محكان. (... - ٧٠ هـ) (... - ٦٩٠ م).
- ١٢ - جعفر بن علبة. (... - ١٢٥ هـ) (... - ٧٤٣ م).
- ١٣ - أبو نواس. (١٤٦ - ١٩٨ هـ) (٧٦٣ - ٨١٤ م).
- ١٤ - تميم بن جميل السدوسي. (... - حوالي ٢٤٠ هـ) (... حوالي ٨٥٣ م).
- ١٥ - الحلاج. (... - ٣٠٩ هـ) (... - ٩٢٢ م).
- ١٦ - الطغرائي. (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) (١٠٦٣ - ١١٢٠ م).

رأي :

تعتبر هذه القصائد من روائع الشعر العربي، وأصدق لهجة، وأعمقه شعوراً وأحاسيس، وحسبك أن هؤلاء الشعراء نظموا قصائدهم قبيل موتهم، وهم غرباء عن أوطانهم وأحبائهم أو هم يساقون إلى القتل بالسيف، أو الصلب على الأعداء. ويلاحظ القارئ أنني لم أدرس هذه القصائد العصماء، ولم أتدخل في الحكم

عليها، وذلك لأترك له حريته وحقه في هذا الحكم، وفي الإعجاب بعواطفها الجياشة
وبتصويرها الدقيق للساعات أو الدقائق التي تفصل بين الحياة والموت، وربما امتدت إلى
تصوير ما بعد الموت.

وأعتقد - دون مبالغة أو تزويد - أن مثل هذه القصائد قل أن تجد لها نظيراً في
الشعر العالمي كله، وأنها مدعاة لفخر الأمة العربية بشعرها الراقى رغم ما حل
بأصحابها - وبالأأسف - من أهوال الموت والقتل والصلب.

دمشق ١٩٨٨/١١/٢٣ .

عبد المعين الملوحي

یزید بن خذاق

(..... — ؟)

المصادر

- ١ — الأوائل ٢ : ٢٢٦ — ٢٢٧
- ٢ — عيون الأخبار ٢ : ٣٠٨
- ٣ — الشعر والشعراء ٣٤٥ — ٣٤٧
- ٤ — طبقات الشعراء ٢٧٥ — ٢٧٧
- ٥ — الجمهرة ١٤٢
- ٦ — معجم الشعراء ٤٨١
- ٧ — السمط ٧١٣
- ٨ — العقد الفريد ٣ : ١٧٦ ...
- ٩ — المفضليات ١٢٧٧ ...
- ١٠ — الأعلام ٩ : ٢٣٤

اسمه ونسبه

لا نعرف إلا أنه يزيد بن خذاق الشني، ثم العبدى وجاء في الشعر والشعراء أن له أخا يدعى سويداً قال :
هما سويد ويزيد ابنا خذاق من عبدالقيس
بل إن اسم أبيه دخله التصحيف فروي أنه (خذاق) بالخاء المهملة .
(السمط) وقيل إنه يزيد بن نهار وهو ابن أخت المثقب العبدى : شاعر جاهلي
عاصر النعمان، ملك الحيرة وذكره ابن سلام مع فصحاء شعراء البحرين .
ثم لا نعرف أكثر من ذلك .

القصيدة

اختلف العلماء في نسبة هذه القصيدة وأكثرهم ينسبها ليزيد بن خذاق، وجاء في المفضليات، وبيروى للممزق العبدى، وكذا قال ثعلب، وهي له في الجمهرة .
أما في عيون الأخبار والشعر والشعراء والأوائل للعسكري فهي ليزيد .
وأشار ابن سلام إلى اختلاف نسبة القصيدة .

وليزيد أشعار أخرى متفرقة في كتب الأدب، لا مجال لذكرها في هذا الكتاب وقد عد العسكري في كتابه الأوائل (٢ : ٢٢٦ — ٢٢٧) يزيد بن خذاق أول من رثى نفسه، وأول شعر قيل في ذم الدنيا، وكذلك روي عن أبي عمرو ابن العلاء وعن الأصمعي .

وها هي ذي القصيدة مع الإشارة في الحاشية إلى بعض الاختلافات اليسيرة في روايتها :

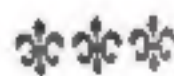
(١) هَلْ لَلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقٍ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامٍ الْمَوْتِ مِنْ وَاقٍ

(١) روي من بنات الدهر من وافي، ومن حمام الموت من راقٍ يبادل راقٍ ووافٍ وفضلنا رواية ما ذكرنا .

- (٢) كَأَنِّي قَدْ زَمَانِي الدَّهْرُ مِنْ غُرْضٍ بنافذاتٍ بلالٍشٍ وأفواقٍ
(٣) إِذْ غَمَضُونِي وَمَا غَمَضْتُ مِنْ وَسَنٍ وَقَالَ قَائِلُهُمْ أَوْدَى ابْنُ خُذَاقٍ
(٤) وَرَجَّلُونِي وَمَا بِالشَّعْرِ مِنْ شَعَثٍ وَأَلْبَسُونِي ثِيَاباً غَيْرَ أَخْلَاقٍ
(٥) وَرَفَعُونِي وَقَالُوا : إِيْمَا رَجُلٍ وَأَدْرَجُونِي كَأَنِّي طَيٌّ مِخْرَاقٍ
(٦) وَأَرْسَلُوا فَتِيَةً مِنْ خَيْرِهِمْ نَسَباً لِيَسْتَنْدُوا فِي ضَرْبِ الْقَبْرِ أَطْبَاقٍ
(٧) وَقَسَمُوا الْمَالَ وَأَرْفَضْتُ عَوَائِدَهُمْ وَقَالَ قَائِلُهُمْ : مَا تَابَ ابْنُ خُذَاقٍ
(٨) هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعُ بِإِشْفَاقٍ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلوَاحِدِ الْبَاقِي

ملاحظتان :

- ١ — الملاحظة الأولى : لا نجد فيمن رثى نفسه قبل الموت هذه التفاصيل الدقيقة لما بعد الموت . التي يذكرها يزيد في قصيدته .
- ٢ — الملاحظة الثانية : فإنما مالنا للواحد الباقي يدل على عقيدة بعض أهل الجاهلية في توحيد الله وبقائه .



- (٢) ورد البيت في المفصليات ١٢٧٧ . النافذات : السهام النافذة . أفواق : حج قوف وهو موضع الوتر من السهم .
(٣) البيت زائد في المفصليات أيضاً . والوسن : النوم .
(٤) وروي : وما رجلت من شعث : رجُل تسرج الشعر . غير أخلاق : جديدة غير بالية
(٥) وروي : وغمضوني .. طي مخراق : عني به العمامة التي يلبسها الأطفال بضرب بعضهم بعضاً .
(٦) وروي : حسباً يدل نسباً . وجاء في حاشية طبقات الشعراء : يعني أنزلوهم في شق القبر لكي يتلقوا جناتهم، وقوله : من خيرهم حسباً : ليس على سبيل الفخر بل هي الحسرة والسخرية . الأطباق : جمع طبق : المفصل والأعضاء .
(٧) العوائد : النسوة اللواتي يزرن المريض . يلاحظ تكرار الشطر الثاني في البيت الثالث والسابع ولعله تكرار لإظهار اللوعة والحسرة عند الموت، أو لعله رواية أخرى .
(٨) الاشفاق : التخوف والحرص . وروي الوارث بدل الواحد .

بشر بن أبي خازم

(... - نحو ٩٢ ق . هـ)

(... - نحو ٥٢٢ م)

المصادر

- ١ — الديوان : تحقيق د. عزة حسن طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٠
- ٢ — الحيوان ٦ : ٢٧٥ ...
- ٣ — طبقات فحول الشعراء ٩٧ ...
- ٤ — الشعر والشعراء ٢٢٧
- ٥ — الكامل للمبرد ١٩٩
- ٦ — المغتالون ٢١٤
- ٧ — ثمار القلوب ٩١
- ٨ — مختارات ابن الشجري ٢ : ١٩
- ٩ — الكامل لأبن الأثير ١ : ٢٩٩
- ١٠ — شرح المفضليات ١٤٦ ...
- ١١ — خزانة الأدب ٢ : ٢٦٢
- ١٢ — معجم البلدان (ترج)
- ١٣ — الكتب التي تتحدث عن أيام العرب، وهي كثيرة .

نسبه :

هو بشر بن أبي خازم، وأبو خازم اسمه عمرو، وبشر شاعر جاهلي من بني أسد ... وبنو أسد فيهم شعراء كبار، أشهرهم في الجاهلية عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم .

عمره :

أعلب الظن أنه عاش في الصف الثاني من القرن السادس من الميلاد، وبقي حياً إلى زمن قريب من ظهور الإسلام، وعاصر حاتم الطائي .

أخباره :

شهد بشر يومي النصار والجفار بين بني أسد وأحلافها وبين بني عامر وأحلافها ثم بين بني تميم وبني أسد .

بشر وأوس بن حارثة :

تشغل علاقة بشر بأوس بن حارثة جزءاً كبيراً من ديوانه، فقد هجاه ثم مدحه، وقد ذكرت المصادر هذه العلاقة فقالت :

دعا النعمان بن المنذر، ملك الحيرة بحلة، وعنده وفود العرب من كل حي فقال : — احضروا في غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم .

فحصر القوم جميعاً إلا أوس بن حارثة فإنه تحلف، فقيل له : لم تحلفت ؟

فقال :

— إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء ألا أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكاني .

فلما جلس النعمان في مجلسه لم ير أوساً بين القوم فقال :

— إذهبوا إلى أوس، فقولوا له : احضر آمناً مما خفت .

فحضر أوس إلى المجلس وأليس الخلة محسده قوم من أهله . فقال للحطيئة :
أهجه ولك ثلاثمائة ناقة

فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده
... ثم قال :

كيف المحاء وما تملكُ صالحةً من آل لأم بطهر العيبِ تأتيني
فقال لهم بشر بن أبي حارم : أنا أهجوه لكم

فأخذ الأبل وهجا أوس بن حارثة ...، وأفحش في هجائه ... فغضب أوس
لذلك وندر لئن طهر به ليحرقه ...

ووقع بشر أسيراً في إحدى معاركه فاشتراه أوس بن حارثة من أسريه فلما
حصل بين يديه جاء به وأوقد ناراً ليحرقه فلامت أم أوس أوساً على فعلته وقالت
له فيما قالت :

— أرعمت أنك تحرق رجلاً هجاك، إدد فم يمحو ما قال فيك ؟ وأيم
الله لو فعلت ما استقلتها أنت ولا قومك أبداً . فقال لها أوس :

— فما أصنع به ؟ قالت :

— أرى أن ترد إليه ماله وتعمو عنه وتحبوه وتكرمه وأفعل أنا مثل ذلك فإنه
لا يغسل عنك ما صنع غيره .

فاحتس أوس بن حارثة بشراً عنده وداساه، وكتبه ما يريد أن يصنع به .
وقال له : ابعث إلى قومك يقدونك، فإنني اشتريتك بمائتي بعير، فأرسل بشر
إلى قومه فهيئوا له العداء . وبادر أوس، فأحسن إليه، وكساه القيمة — الثوب
من اليمن — وغيرها وحمله على نجييه الذي كان يركب، وسار معه حتى بلغ
أداني غطفان فقال بشر لأوس :

— لا جرم والله، لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك .
وصدق بشر فقد مدح أوساً وأكثر من مدحه

مقتل بشر

كان بشر بن أبي خازم فارساً شجاعاً، وكان يحوض ساحات القتال مع فرسان قومه ويقود الغزوات ويشس العارات .. وقد قتل في إحدى غاراته، وذلك إن بشراً أغار في مقنب من قومه على الأبناء من بني صعصعة ابن معاوية، فلما جالت الخيل بموضع يقال له الرده .. مر بشر بغلام من بني وائلة من الأبناء، وهو عمرو (أو عيس) بن حذار، ويكنى أبا أبي .. وكان شجاعاً فقال بشر للغلام : أعط بيدك (استسلم) يريد أن يأسره فقال له الغلام الوائي : لتتحنن أو لأشعرك سهماً من كتاتي، فأبى بشر إلا أسره، فرماه الوائي بسهم على ثنودته^(١)، فاعتنق بشر فرسه وهو جريح وأخذ الغلام فأوثقه .

فلما كان الليل أيقن بشر أنه ميت، فأطلق الغلام الوائي من وثاقه، في بعض الطريق، وخلي سبيله، وقال له :
— أعلم قومك أنك قتلت بشراً ...

ثم اجتمع أصحاب بشر إليه فقالوا له : أوص فقال قصيدة يرثي بها نفسه
شعره :

عد ابن سلام بشر بن أبي خازم (الطبقات : ٩٧) في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية بعد أوس بن حجر .

وأعجب أبو عمرو بن العلاء بقصيدة بشر التي مطلعها :
أحس ما رأيت أم احتلام أم الأهل إذ صجسي نيام
وقال : « ليس للعرب قصيدة على هذا الروي أجود منها، وهي التي ألحقت بشراً بالفحول »^(٢)

وسئل الفرزدق وجريز : من أشعر الناس، فاتفقا على بشر بن أبي خازم أما ابن قتيبة فعاب على بشر اقواءه في شعره وقال :

(١) الثنود اللحم الذي حول الثدي — يريد أنه أصاب قلبه

(٢) شرح المفصلات : ١٤٦ ..

(قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان : بشر بن أبي خازم والنابعة الذياني (٣))

ويطعن الجاحظ ويشك في صحة كثير منه قال .

(وقد طعت الرواة في هذا الشعر الذي أصفتموه إلى بشر بن أبي خازم (٤))

قصيدة بشر

في رثاء نفسه

قال بشر بن أبي خازم يرثي نفسه (٥) :

- (١) أسائلة عميرة عن أبيها
 - (٢) تؤمل أن أؤوب لها بنهب
 - (٣) فإن أباك قد لاقى غلاماً
 - (٤) وإن الرائل أصاب قلبي
 - (٥) فرجى الخير وانتظري إياي
 - (٦) فمن يك سائلاً عن بيت بشر
 - (٧) ثوى في ملحد لا بد منه
 - (٨) رهين بلى، وكل فتى سبلى
 - (٩) مضى قصد السبيل، وكل حى
 - (١٠) فإن أهلك عمير قرب زحيف
- خلال الجيش تعرف الركابا
ولم تعلم بأن السهم صابا
من الأبناء يلتهب الثهابا
بسهم لم يكن يكسى لغابا
إذا ما القارظ العنزي آبا
فإن له بجنب الرده بابا
كفى بالموت نأيا وأغترابا
فأذري الدمع وانتحسب انتحابا
إذا يدعى لميتيه أجابا
يشبه تقعه رهوا ضبابا

(٣) الشعر والشعراء : ٢٢٧

(٤) الحيوان : ٦ : ٢٧٩ ..

(٥) الديوان : ٢٤ — ٣٠ وهو يخاطب في قصيدته ابنة عميرة .

(١) تعرف : تسأل القوم

(٢) صاب : أصاب

(٤) اللعاب : الرمش .

(٥) القارظ العربي مثل يصرب العرب لجمعوه الذي لا يرجع والقارظ الذي ينبى القرظ والعنزي : رجل من بني حنزة .

(٦) الرده : مكان في بلاد فيس دفن فيه بشر أو باب البيت هنا : القبر

(١٠) التقع : غيار الحرب . رهوا : مرتفعاً

- (١١) سموت له لألبسه يزحف
 (١٢) على ربه قوائمهُ إذا ما
 (١٣) شديد الأسر يحمل أريجياً
 (١٤) صبور عند مختلف العوالي
 (١٥) وطان تشاجر الأبطال فيها
 (١٦) فعز علي أن عجل المنايا
 (١٧) ولما ألقى خيلاً بمن غير
 (١٨) ولما تلبس خيل بحيل
 (١٩) فيا للناس إن قساة قومي
 (٢٠) همو جدعوا الأنوف فأوعبوها
- كما لفت شامية سحاباً
 شائه الخيل ينسرب انساباً
 أخوا ثقة إذا الحدثان ناهبا
 إذا ما الحرب أبرزت الكعابا
 وأبسدت ناجداً منها ونابها
 ولما ألقى كعباً أو كلاها
 نصب لثاتها ترجسوها
 فبطعنوا وبضطربوا اضطراباً
 أبث بثقافها إلا انقلاباً
 وهم تركوا بني سعد ياباً

-
- (١١) سموت له لألبسه : نهضت به لأخلطه : الشامية : الرمح الشمالية .
 (١٢) ربه قوائمهُ : القوس : الخفيف القوام في السر شائه الخيل : سيفته .
 (١٣) الأسر : الخلق .
 (١٤) الكعاب : الفتاة التي عهد ثوبها، ويشير إلى شفة الحرب التي تدعو النساء إلى البروز .
 (١٥) الناجد : الصرس .
 (١٦) نصب لثاتها : يتحلب ريقها طمعاً في العتمة .
 (١٨) تلبس : تخبط (١٩) الثقاب : تسوية الرماح .
 (٢٠) أوعبوها : استأصلوها . الياب : الخراب .

ملاحظة ١ :

يلاحظ في قصيدة بشر في رثاء نفسه أن أكثرها في الفخر بقومه وأقلها في الحديث عن ابنته ومصيره، فكأن موته لم يشعله عن قومه، فهل أصاب الخاحظ حين قال : إنها مصنوعة (الحيوان ٦ : ٢٧٩)

ملاحظة ٢ :

أكثر ما أوردته في هذا البحث مقتبس من مقدمة الديوان في احتصار، أما القصيدة فكلها من الديوان .



طرفة بن العبد

(نحو ٨٦ - ٦٠ ق. هـ)

(نحو ٥٢٨ - ٥٦٤ م)

بعض مصادره

- ١ — الديوان (شرح الأعلام الشتتمري)
- ٢ — طبقات الشعراء ١٣٧ — ١٣٨
- ٣ — الشعر والشعراء ١٣٧
- ٤ — المحبر ٢٥٨
- ٥ — الآمدي ١٤٦
- ٦ — الزوزني ٢٨
- ٧ — سمط اللآلىء ٣١٩
- ٨ — خزانة البغدادى ١ : ٤١٤ — ٤١٧
- ٩ — شرح شواهد المغنى ٢٧٢/٢٩٦
- ١٠ — شعراء النصرانية ١ : ٢٩٨

نسبه :

هو أبو عمرو طرفة بن العبد ... من بني بكر بن وائل .

حياته :

مات أبوه وهو صغير فأبى أعمامه أن يقسموا ماله وظلموا حق أمهم، وكان

اسمها وردة فقال :

ما تنظرون بحق وردة فيكم صغر البون، ورهط وردة عيب قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصب

وكان طرفة في أول أمره مصصاً على النهو، يعاقر الخمرة، ويمسح عليها ماله،

وكان في حسب من قومه جريئاً على محائهم وهجاء غيرهم ... وكانت

أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبد عمرو سيد أهل زمانه، وكان

ابن عم طرفة، وكان سمياً بادناً، وكان طرفة عدواً له — كما في الخرافة — فشكت

أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه فقال :

ولا عيب فيه غير أن له غسي وأن له كشحاً إذا قام أهصما

وأن ساء الحي بعكفر حوله يقلن : عسيب من سرارة منهما

فبلغ عمرو بن هند الشعر، فخرج يتصيد، ومعه عبد عمرو، فأصاب حماماً

ففقره وقال لعبد عمرو : انزل إليه، فرل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال :

لقد أبصرك طرفة حين قال «ولا عيب البيت»، وكان عمرو بن هند شريراً،

وكان طرفة قال قبل ذلك :

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تخور

فقال عبد عمرو : أبيت اللعن، الذي قال فيك أشد مما قال في . قال : وقد بلغ

من أمره هذا ؟

قال : نعم فأنشده القصيدة إلى آخرها فقال : لا أصدقك عليه، لما بيك وببيه

واحتملها في قلبه على طرفة .

المتلمس وطرفة

كان المتلمس ينادم عمرو بن هند، ملك الحيرة، هو وطرفة بن العبد فهجواه فلما كان بعد ذلك بيسير قال لهما : اظكما قد اشتقما أهلكما فهل لكما أن أكتب لكما إلى عامل البحرين بصلة وجائزة؟ قالا : نعم فكتب لهما إلى عامله في البحرين كتابين، أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وكتب إليه يأمره بقتلهما، فخرجا حتى إذا كانا بالتجف، طلع عليهما غلام من أهل الحيرة، فقال له المتلمس وأحسن بالشر : اتقرأ يا غلام؟ قال : نعم، ففك صحيفته ودفعها إليه، فإذا فيها : أما بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفه حيا. فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك يقرؤها، ففيها، والله ما في صحيفتي فقال طرفة : كلا، لم يكن يجترئ علي، فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة.... وأخذ طرفة نحو البحرين فحبسه عامل عمرو بن هند في البحرين ثم قتله .

فلسفة طرفة العملية في الحياة .

يحدد طرفة فلسفته في الحياة فيراها في ثلاثة أمور، الخمر والحرب والمرأة، فهو يقول :
فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشةِ الفتى وَجَدَكَ لم أَخْفَلُ متى قامَ عُودِي
فمنهنَّ سَبَقِي العاذلاتِ بشربه كَمِيتَ متى ما تعلَّ بالماءِ تزيد
وَكَرِّي، إذا نادى المضافُ مُحِبًّا كَسِيدَ السعيا، نِهْتَه، الْمُتَسَوِّرِدُ
وتقصير يوم الدجن، والدجن معجب بيهكنة طسي الخباء المُعَمَّدُ(١)

ويعلق ابن قتيبة على أبيات طرفة فيقول : أخذه عبدالله بن سبيك بن إساف الأنصاري فقال :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشةِ الفتى وَجَدَكَ لم أَجْفَلُ متى قامَ رامسُ
فمنهنَّ سَبَقِي العاذلاتِ بشربة كَأَنَّ أُنحاهَا مطلعَ الشمسِ ماعسُ

(١) كرى عطش المصاف المقاتل الذي أحاط به أعداؤه فهو يستجد السيد اللئب العصا : شجر التورده الذي يطلب الماء لورده.
البهكنة: المرأة. المصب : الفرس

ومنهن تجريدُ الكواعب كالدمى إذا أبْشُرُ من أكفاهن الملايسُ
ومنهن تقريظُ الجوادِ عنائِه إذا استبقَ الشخصَ الخفي الفوارسُ

شعره :

عد ابن سلام الجمحي طرفه بن العبد في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية
وقال : وهم أربعة رهط وعددهم ومنهم طرفه ثم استدرك فقال :
فحول شعراء، موضعهم من الأوائل وإنما أدخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة،
(ص ١٣٧) وخص طرفه بقوله : (ص ١٣٨)

أما طرفه فهو أشعر الناس وحاده، وهي قوله :
لخولة أطلال يبرقة نهميد وقفْتُ بها أبكي وأبكي إلى الغدِ
وتليها أخرى مثلها :

أصحوث اليوم أم شاققتك هرر ومن الحب جُونُ مُستقِرٍّ^(١)
وترجم ابن قتيبة في الشعر والشعراء شاعرنا طرفه (ص ١٣٧) وقال : (هو
أجودهم طويلاً)

لقد كان طرفه قبساً من نور لم يكد يشتعل حتى أطعأته ريح الموت. وما
ندري ما كان يمكن أن يكون لو أسىء في أجله .

(١) مستظر رواية ابن سلام ورواية الديوان مسعر .

طرفة يرثي نفسه

في

قصيدته الضادية

رثى طرفة نفسه في سجنه قبل مقتله بقصيدته الضادية التي مطلعها .

ألا اعتريلي اليوم خولة أو عصي فقد نزلت حذاء مُحْكَمَ العَصْرِ

وقد احتف العنماء في صحتها أو على الأقل في صحة كثير من أبياتها، ويلخص

أحمد مختار البزرة في كتابه (الأسر والسجن في شعر العرب) هذا الموضوع

(ص ٤٣٨ — ٤٤٠) فيقول :

(ومن هؤلاء المحول — من اشعراء — طرفة بن العبد، ولا أقصد إلى تغيير

صحيح شعره من محوله، وهو مصطب حمامة الرواة والنقاد القدماء ولكن يقتصر

على ما نظمته في السحر. وموضع الشك هو قصيدته الضادية، وهي كبرى قصائده

في حبسه، وعدتها ثمانية وخمسون بيتاً، وهي بتامها في ديوانه الذي أخرجه ماكس

سلفسرت في فرنسا في أول سنة من القرن العشرين^(١).....

والقصيدة الضادية من القطعة المصافة إلى الديوان، وهي الأصل الوحيد الذي

جاء فيه القصيدة كاملة في شكلها الأخير، وهي لا تشير إلى أصل مشرق، غير

أن أصولها المشرقية متوفرة على حال من التشنت والاضطراب، وقد تفرقت بعض

أبياتها في كتب اللغة والأدب والبلدان. مما يبعث الاطمئنان إلى بعضها على الأقل،

والحق أن الرواة الثقات عرفوها، فكان لهم نحوها تحفظ كثير وقد ذكر أبو عمرو

بن العلاء أن المفصل الضبي الكوفي كان ينكرها وأن الأصمعي المصري لم يثبتها

في شعر طرفة، فاتفق رأساً مدرستي الكوفة والبصرة في الرواية على تضعيف

هذه القصيدة، ولذلك أحجم الأعلام الشتمري عن إثبات القصيدة في ديوان

الشاعر، وفي الخائب الآخر كان الجاحظ يراها من الشعر الجيد^(٢) وروى أبو عبيدة

(١) وشر جمع اللغة العربية في دمشق ديوان طرفة بشرح الأعلام الشتمري وبحقيق الأستاذين دربة الخطيب والعلوي الصقال، وذلك عام ١٩٧٥ م

معمر بن المثنى القصيدة، وتدل روايته على أن عالماً كبيراً على الأقل جعل القصيدة في عداد شعر طرفة .

وأورد أحمد بن أمين الشقيطي القصيدة برواية أبي عبيدة فكانت عدتها ثلاثة وعشرين بيتاً من النسخة المصافة إلى الديوان، وهو فرق كبير، ولا شك أن رواية هذه القصيدة في القرن الثاني الهجري كانت تختلف ترتيباً وعدد أبيات بين راو وآخر، وهذا التفاوت حمل المفضل والأصمعي على إنكارها، وهو إنكار ينصب على عدتها لا على أصل حقيقتها، ولم يشأ أي منهما النظر في صحيحها ومنحوها فأعرض عنها، ويتراءى أن ما أحجم عنه الصبي والأصمعي أقدم عليه أبو عبيدة، فتحل منها حسب مقاييسه النقدية ثلاثة وعشرين بيتاً، والأرجح أنه انتهى إلى صواب كثير، فلو عرضت القصيدة في أبياتها الثمانية والخمسين لوجد في كثير منها لين ظاهر وإسفاف وجفاف رونق مما لا يوافق ما عرف به شعر طرفة من فحامة وشدة أسر، ولكن بعضها شديد الصلة بروحه وأسلوبه لو تحل منها عشرون ونيف الواقعة لاختار أبي عبيدة . (٥١) .

ومع هذا الشك المعقول والنقد الموضوعي فقد آثرت إيراد القصيدة كلها كما نشرت في ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلام الششمري بتحقيق الأستاذين : درية الخطيب ولطفي الصقال في مطبوعات مجمع اللغة العربية، تاركاً للقارئ اللبيب الحكم على ما يراه محولاً أو غير محول والقصيدة فيه تقع في ٦٠ بيتاً مجمعة من عدة نسخ .

القصيدة الضادية

قال طرفة بن العبد وهو في سجنه ينظر القتل (٥) :

(١) ألا اعتزليني اليوم حَوْلَةً أو غُضِي فَقَدْ نَزَلَتْ حَذْبَاءُ مُحْكَمَةِ الْعَضِّ

(٢) قال الجاحظ ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبدته، وذلك أن إد ما جوده أشعارهم في وصف حاطة الموت فيما لم تكن دون سائر أشعارهم في حزن الأمس والفرغاية واليباس واليأس . ٢ - ٣٠١ . والحيوان ١ - ١٥٧

(٥) التخرج : ديوان طرفة ص ١٦٨ .

(١) في الهامش جاء في نسخة قازان أن طرفة قالها لعمر بن هند، ولعبد بن أبي أمية بالكاتب في صحيحته، وكان العبد حين سجنه لقتل، بعث إليه بجملة يقال لها حولة، فأبى أن يتلقاها، وفي ط حذباء معصلة العصر .

- (٢) أرأيت قَوَادِي عَنْ مَقَرِّ مَكَانِهِ
 (٣) وقد كنتُ جَلْدًا فِي الْحَيَاةِ مُدْرَثًا
 (٤) وَإِنِّي لَحَلَوٌ لِلْحَلِيلِ ، وَإِنِّي
 (٥) وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي عَمَّا أَبْطَرُ الْعَيْ
 (٦) وَأَغْمِيرُ أَحْيَاءًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
 (٧) وَاسْتَنْقِذُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ ، بَعْدَمَا
 (٨) وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَعَرْضِي وَنُصْرَتِي
 (٩) وَيَعْمُرُهُ حَلْمِي ، وَلَوْ شِئْتُ نَالَه
 (١٠) وَمَا بَالِي ، حَتَّى تَجَلَّتْ وَأُسْفَرَتْ
 (١١) وَلَكِنَّهُ سَبُّ الْأَلِيهِ وَحَرْفَتِي
 (١٢) لَأَكْرَمَ نَفْسِي أَنْ أَرَى مُتَحَشِّمًا
 (١٣) أَكْفُفُ الْأَدَى عَنْ أَسْرَتِي مُتَكْرِمًا
 (١٤) وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصِفُو خَلِيقَتِي
 (١٥) وَأَمْضِي أُمُورِي بِالرَّمَاعِ لَوَجْهَهَا
 (١٦) وَأَقْصِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْحَقُّ نَابِي
 (١٧) وَإِنِّي لَذُو حِلْمٍ ، عَلَى أَنْ سَوَّرَتِي
 (١٨) وَإِنْ طَلَبُوا وَدَيَ عَطَفْتُ عَلَيْهِمْ
 (١٩) وَمَعْتَرِضٌ فِي الْحَقِّ غَيَّرْتُ قَوْلَهُ
 (٢٠) رَكِبْتُ بِهِ الْأَهْوَالَ حَتَّى تَرَكْتُهُ
 (٢١) وَلَسْتُ بِذِي لَوْنَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ
 (٢٢) قَدْ أَمْضَيْتُ هَذَا مِنْ وَصِيَّةِ عَبْدِلِ
 (٢٣) إِذَا مِتُّ فَأَبْكِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
 (٢٤) وَلَا تَعْدِلِينِي إِنْ هَلَكْتُ بِعَاجِزٍ
- وَأَضْحَى جَوَاحِي الْيَوْمِ لَيْسَ بِذِي نَهْصٍ
 وَقَدْ كُنْتُ لِبَاسَ الرِّجَالِ عَلَى الْبُغْضِ
 لَمَرٌّ لَدَى الْأَضْغَانِ أَبْدِي لَهُ بُغْضِي
 وَأَبْذُلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَتِمَّ قَرْضِي
 وَأَدْرِكُ مَيْسُورَ الْغَنَى وَمَعِيَ عَرْضِي
 يَزِلُّ كَمَا رَلَّ الْبَعِيرُ عَنِ الدُّخْرِ
 وَإِنْ كَانَ مَخِي الضَّلُوعُ عَلَى بَغْضٍ
 عَوَاقِبُ تَبْرِي اللَّحْمِ مِنْ كَلَمٍ مَضٍ
 أَخُوْتَقِي فِيهَا بِقَرْضٍ وَلَا قَرْضٍ
 وَسُدُّ حِيَازِيمِ الْبَطِيَّةِ بِالْعَرْصِ
 لَدَى مِثَّةٍ يُعْطَى الْقَلِيلُ عَلَى الرَّخْصِ
 عَلَى أَنِّي أَجْزِي الْمَقَارِضَ بِالْقَرْضِ
 إِذَا كَذَرْتُ أَخْلَاقَ كُلِّ فِتْنٍ عَضٍ
 إِذَا مَا أُمُورٌ لَمْ يَكُذْ بَعْضُهَا يَمْضِي
 وَفِي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلَا يُقْضَى
 إِذَا هَزَّنِي قَوْمٌ حَيْثُ بِهَا عَرْضِي
 وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعُودُ إِلَى خَفْضِ
 وَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَ الْقَضَاءُ كَمَا تُقْضَى
 بِمَنْزِلِ ضَنْكَ مَا يَكُودُ وَلَا يَمْضِي
 وَلَا الْبَحْلُ ، فَأَعْلَمَ مِنْ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي
 وَمِثْلُ الَّذِي أُوصِي بِهِ عَبْدِلِ أَمْضِي
 وَخُضَّتِي عَلَيَّ الْبَاكِيَاتِ مَدَى الْحَضِ
 مِنَ النَّاسِ ، مَنْقُوضِ الْمَرِيرَةِ وَالنَّقْضِ

(١٢) الرخص : الجهد الكبير، أي يعطى القليل بعد الجاح شديد .

(٢١) لي هامش الديوان - راد النيربي - كما في هامش المروزي البيت التالي بعده

وإنسي لسهل ما تغير شيمنسي صروف ليالي الدهر بالقتل والنفس

(٢٤) منقوض المريرة : ينقض الناس ما تهرمه .

- (٢٥) حلفتُ بِرَبِّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مِنِي
 (٢٦) لَيْنٌ هَتَّ أَقْوَاماً بَدَتْ لِي دُوبُهُمْ
 (٢٧) لَقَدْ طَالَمَا هَزَوَا قَنَايَ وَأَجَلَبُوا
 (٢٨) وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي شَجَّ لَعْدُوهُمْ
 (٢٩) وَلَكِنِّي أَحْمِي ذِمَارَ عَشِيرَتِي
 (٣٠) بِمَشْهَدٍ لَا وَإِنْ وَلَا عَاجِزِ الْقُوَى
 (٣١) أَبْعَدُ بَنِي ذَرَى بْنِ عَبْدِكَ إِذْ غَدَا
 (٣٢) مَضُوا وَبَقَا نَأْمُلُ الْعِيشَ بَعْدَهُمْ
 (٣٣) فَحَسْبِي مِنَ الدَّاءِ الَّذِي لَيْسَ بَارِحِي
 (٣٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَيْنَ فَاضَتْ سَجَامُهَا
 (٣٥) كَأَن مَجَاجَ السَّنْبِلِ الْوَرْثَ فِيهَا
 (٣٦) كَمَا يَنْظُرُ الْوَرَّادُ خَيْلاً سَرِيعَةً
 (٣٧) خَذُوا حَذَرَكَ أَهْلَ الْمَشْقَرِ وَالصَّفَا
 (٣٨) أَلَا أَبْلَغَا بَكْرَ الْعِرَاقِ بْنِ وَائِلٍ
 (٣٩) فَإِنْ يَقْتُلِ الْعُمَانُ قَوْمِي فَإِنَّمَا
 (٤٠) فَمِيلُوا عَلَى الْعُمَانِ، فِي الْحَرْبِ مَيْلَةً
 (٤١) هُمَا أَوْرَدَانِي الْمَوْتَ عَمْدًا وَجَرْدًا
 (٤٢) رَدِيتُ وَنَجَّيْتُ الْيَشْكِرِي حَذَارَهُ
 (٤٣) وَلَوْ حَمَتْ هَذَا الْفَتَكُ فِي الدَّيْنِ دَاعَتْ
 (٤٤) فَيَاعَجِبَا لِلْجَدْعِ أَرْفَعُ فَوْقَهُ
 (٤٥) وَكُنَّا عَلَى ذِي مِرَّةٍ وَمِطَ قَوْمِنَا
 (٤٦) أَبَا مَنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْصَا
- يَيَارِينَ أَيَّامَ الْمَشَاعِرِ وَالْتِهَافِ
 مَخَافَةً رَحْبَ الصَّدْرِ ذِي جَدَلٍ عِضَ
 عَلَيَّ فَمَا لَأَنْتَ قَنَائِي عَلَى الْعِضِ
 وَأَنِّي عَلَى شَحْنَائِهِمْ كَثُرَ مَا أُغْضِي
 وَيُدْفَعُ مَنْ رَكُضْتُ دُونَهُمْ رَكُضِي
 وَلَكِنْ مُدَلًّا بِخَيْطِ النَّاسِ عَنْ عُرْضِ
 بِهِمْ مِنْ يَرْجِي لَذَّةَ الْعِيشِ بِالْخَفْضِ
 الْأَسَارِ مَنْ يَبْقَى عَلَى اثَرٍ مَنْ يَمْضِي
 وَبَعْضُ هُمُومٍ لَمْ يَكُذْ وَجَدَهَا يُفْضِي
 مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى لَمْ يَكُذْ جَفَتْهَا يُفْضِي
 تَدَاعَتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ فِي وَرَقِ رَحْضِ
 مَقِيدَةً تَنْدُو إِلَى الْحُلْسِ وَالْغَرْضِ
 بَنِي عَمْنَا، وَالْقَرْضُ نَجْزِيهِ بِالْقَرْضِ
 بِكَأْسٍ، سَقَى النَّصْرِي شَارِبَهَا رَمْضِ
 هِيَ الْمَيْتَةُ الْأُولَى وَتَقْدِمَةُ الْقَبْضِ
 وَكَعْبُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشْغَلُوهُ عَنْ الْمَحْضِ
 عَلَى الْمَوْتِ خَيْلاً مَا تَمَلُّ مِنَ الرِّكْضِ
 وَحَادَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّخْضِ
 بَنُو مَالِكٍ حَتَّى يَرْتَدُّوا الَّذِي يَقْضِي
 وَلِلصَّلْبِ حَظِي مِنْ عُدَاةٍ وَمِنْ قَرْضِي
 ضَبِيعَةً قَدَمًا نَضْرِبُ النَّاسَ عَنْ عُرْضِ
 حَنَائِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(٢٥) الرَّاغِصَاتِ : الْأَسْلُ تَسْرِعُ فِي سِرِّهَا

(٢٩) رَكُضْتُ : بِتَشْدِيدِ الْكَافِ .

(٣٥) السَّنْبِلُ : نَبَاتٌ جَارٍ الْوَرْثَ : الطَّرِي . الرَّحْضُ : الْيَالِي

(٣٩) النَّصْرِي وَالْعُمَانُ : عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ أَبُو مَدْرٍ كَأْسٍ رَمْضٍ : عِمْرَةٌ .

(٤٢) الْيَشْكِرِي : الْمَلْعَسُ الَّذِي رَمَى صَحِيقَتَهُ .

- (٤٧) أبا منذرٍ إن كنتَ قَلَرُمْتَ حَرْبَنَا فَمَتَرْنَا رَحْتَ مَسَافَتَهُ ، مُفْضِي
 (٤٨) أبا منذرٍ مَنْ لِلْكَمَاءِ نَزَالُهَا إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي قَنَا، بَيْنَهَا رَفْضُ
 (٤٩) أبا منذرٍ كَانَتْ غُرُوراً صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْصِي
 (٥٠) أبا منذرٍ مِنْ لِلْأُمُورِ الَّتِي تُرَى عَلَى مِرَّةٍ تَحْدُو الشَّرَائِعَ بِالْقَضْرِ
 (٥١) أبا منذرٍ رُمْتُ الْوَفَاءَ فَهَبْتَهُ وَحَدَّثَ كَمَا حَدَّ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحَضِ
 (٥٢) تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجاً إِلَى بَابِ دَارِهِ لِيَعْلَمَ حَتَّى مَا يَرُدُّ وَمَا يُمْضِي
 (٥٣) فَلَسْتُ عَلَى الْأَحْيَاءِ حَيًّا مَحَلِّكَا وَلَسْتُ عَلَى الْأَمْوَاتِ فِي نَكْتَةِ الْأَرْضِ
 (٥٤) يَقَالُ أَيْتُ اللَّعْنِ، وَاللَّعْنُ خَطُهُ وَسَوْفَ - أَيْتُ الْخَيْرِ - تُعْرَفُ بِالْحَفْضِ
 (٥٥) فَأَقْسَمْتُ عِنْدَ النَّصَبِ إِنِّي لَمَيِّتٌ بَمَثَلَةِ لَيْسَتْ بَعْرِبٍ وَلَا حَفْضٍ
 (٥٦) وَتَصَبَّحْتُكَ الْعَلْبَاءُ تَغْلُتُ غَارَةً هُنَالِكَ لَا يُشْجِيكَ عَرْضُ مِنَ الْعَرْضِ
 (٥٧) وَيُلْبَسُ قَوْمٌ بِالْمُشَقَّرِ وَالصَّمَا شَأْبِيَّ مَوْتٍ تَسْتَهْلُ وَلَا تُغْضِي
 (٥٨) نَمِيلُ عَلَى الْعَبْدِيِّ فِي حَدِّ أَرْضِهِ وَكَعْبُ بْنُ سَهْلٍ تَحْتَرِمُهُ عَنِ الْمَحْضِ
 (٥٩) فَلَا أَرْفِدُ الْمَوْلَى الْعُودَ نَصِيحَتِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْنَحْ إِلَيَّ وَلَمْ يُفْضِرْ
 (٦٠) فَمَا كُلُّ دِي غَشٍّ يَضْرُكُ عَشَّهُ وَلَا كِلَ مَنْ تَهْوَى كِرَامَتَهُ تُرْضِي

تعليق للجاحظ

جاء في البيان والتبيين : ٢ : ٣٠١ تعليق دقيق للجاحظ :

قال أبو عثمان :

وليس في الأرض أعجب من طرفة وعديعوث، وذلك أنا إذا قسا جودة
 أشعارهما في حالة إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في الأمن والرفاهية .



(٤٧) ممس : يدخل في المعاء . (٤٨) رهس منكسة

(٥٣) نكتة الأرض ورويت رجه الأرض القبور

(٥٥) المتعة : العلاء التي تنلف الناس والعرب الأرض المنخفضة

(٥٦) العباء : صفة لبني نعب، والعرض : الدحية

(٥٧) نمصي : متحبي وهي ما عمى تكف وتنقطع

(٥٨) العيدي : عامل عمرو بين هند الذي حيس طرفة ثم قتله، وتخرمه : جثم الفعل لغير جازم

أفنون التغلبي
صريم بن معشر

(.. - نحو ٦٠ ق م)

(- نحو ٥٦٤ م)

المصادر

- الشعر والشعراء ٣٨٢/١٨٧
المفصليات وشرح المفصليات : المفصليان ٦٥ و ٦٦
شرح شواهد المغني ١٤٦
الاشتقاق ٢٠٣
المؤتلف ١٥١
الآلء ٦٨٤ — ٦٨٥
الخزانة ٤ : ٤٦٠
النقائض ٨٨٦
الحيوان ٣ : ١٣٥
تاريخ ابن الأثير ١ : ٢٢٦
ومصادر كثيرة أخرى ليس فيها تفصيل كالكمال ورعية الآمل،
ومعجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت

اسمه :

صريم بن معشر، وجاء في المؤلف أن اسمه ظالم

لقبه :

أفنون وفي الوشاح لابن دريد أنه لقب «أفوناً» لقوله :

ميتا الردّ يامصون مصنوناً أزماناً إن للشبان أفنوناً

قبيلته : بنو تغلب

ترجمته :

رغم وفرة المصادر التي تتحدث عن أفنون، فإن أخباره جد قليلة وتكاد تنحصر في الأسطورة التي رويت عن وفاته، ولعل أوفى مصدر يتحدث عنه وعن أسطوريته المفصليات عند ذكر قصيدتين له هما رقم (٦٥) ورقم (٦٦).

قال المفضل :

بلغنا أن رجلاً من بني تغلب يقال له أفنون، يلقب به، واسم صريم بن معشر.. لقي كاهناً في الجاهلية. فسأله عن موته. فقال : أما إنك تموت بمكان، يقال له : إلهة فمكث ماشاء الله ثم إنه سافر في ركب من قومه إلى الشام، فأتوها ثم انصرفوا، فصلوا الطريق، فاستقبلهم رجل، فسألوهم عن طريقهم، فقال : خذوا كذا وكذا، فإذا عنت لكن إلهة وهي قارة بالسماء^(١) وضع لكم الطريق، فلما سمع أفنون ذكر الموضع تطير، فلما أتوها نزل أصحابه، وأبى أن ينزل معهم، فبينا ناقتة ترتعي عرماً لدعتها أفعى في مشفرها، فاحتكت بساقه، والحية متعلقة بمشفرها، فلدغته في ساقه، فقال لأح له معه :

— احمر لي قرأ فأني ميت، ثم رفع صوته يقول : (الآيات)

وقيل : إنه كان راكباً حماراً، فلما أبى النزول مع أصحابه، وطال وقوفه، ربض الحمار فلدغته حية، وقالوا : هص حماره وسقط، فقال لأصحابه :

— إني ميت، فقالوا : ما عليك بأس. قال : فلم ربض العير^(٢) إذن ؟ فأرسلها مثلاً

ثم قال يرثي نفسه : (الآيات)

(١) في معجم البكري : ١ : ١٨٦ أنها بين ديار تغلب والشام

(٢) معجم الأمثال ٢ : ٧٢ ومراشد اللآل ٢ : ٥٨ وسبب فيها إلى امرئ القيس قاله قبل موته

أخباره في المصادر الأخرى :

لا تكاد أخباره في المصادر الأخرى تتجاوز هذا الخبر، وهكذا لا تكاد تعرف عنه غير ذلك .

شعره :

جاء في شعراء الصراية ١٩٢ يعد صريم من شعراء الطبقة الثالثة، له شعر قليل متفرق : ولكن الشعر الذي بقي لنا منه شعر جيد. ويكاد ينحصر في المفضلتين رقم ٦٥ ورقم ٦٦ :

قصيدته في رثاء نفسه

تغنى أفنون قبل أن يموت يكي نفسه :

- (١) ألا لست في شيء، فروحن معاويا ولا المشفقات إذ تبعن الجوازيما
- (٢) فلا خير فيما كذب المرء نفسه وتقواله لشيء : ياليت ذا ليا
- (٣) وإن أعجبتك الدهر حال من امرئ فدعه وواكل حاله واللياليما
- (٤) يرحن عليه أو يغرن ما به وإن لم يكن في جوفه العيش وانيا
- (٥) فطأ مغرضاً، إن الحقوق كثيرة، وإنك لا تبقى بمالك باقيا
- (٦) لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا
- (٧) كفى حزناً أن يرخل الركب عدوة وأترك في أعلى إلهة ثاويما ومات من ساعته، فقبره هناك .



- (١) كتبت فروحن أيضاً فروحاً، رويت : إن شيم : بضم الخواص : الكواص يريد : كما لا تفنك من أمري شيئاً كذلك النساء المشفقات لا يقدرن على انتفاء أحكام الكواص وروي لست (بضم الخطاب) ولست (بضم المنكلم).
- (٢) المعنى أن حديث النفس — إذا حفت الحقائق — لا يضي شيئاً، صدقاً كان أو كذباً
- (٣-٤) إذا أعجبتك حال إنسان سعيد مدعه بسى فهي التي تمر حاله وتغنيه شيئاً بعد كان سعيداً
- (٥) في العقد بنسك وفي المفضلية ٦٥ ص ٢٦٦ ثالث جاء في شرح الخطيب التبريزي لاختيارات الفصل — (وأكد الشرح للأبيات منه) يخاطب صاحبه أو نفسه فيقول أقده على ما يعرض لك، وترك ما يعطيك ظهرك، علما أن أنواع المكدره كثيرة إن المال لا يحرصك ولا يدفع مكروها عك، وهو يعرض الزوال، وإذ اجهدت في بيعه
- (٦) في العقد له الدهر وفي المفضلية، له الله .
- (٧) في المفضلية : وأصبح، وفي شعراء الصراية : وأصبح في عليا الإلهة

عبد يغوث بن صلاءة

(... - ٤٠ ق . هـ)

(.... - ٥٨٤ م)

المصادر

- ١ — المعضليات شرح ابن الأنباري : ٣١٥ / ٣١٧ المعضليات
شرح الخطيب التبريزي : ٧٦٦ — ٧٧٣
- ٢ — الأغاني (الدار) الأصبهاني ١٦ : ٣٢٨ — ٣٤١
- ٣ — خزانة الأدب البغدادى ١ : ٣١٧
- ٤ — والحمامة البصرية البصري ١ : ٩٣
- ٥ — المحبر ٢٥١
- ٦ — شعراء النصرانية شيخو ١ : ٧٥ — ٧٩
- ٧ — سمط اللآلئ البكري — الميمنى ٣ : ٦٣
- ٨ — أسماء القتالين ابن حبيب ٢٤٦

نسبه :

هو عبد يعوث بن صلاءة، وقيل بل عبد يعوث بن الحارث بن وقاص من بني الحارث .

أخباره :

جمع قومه من بني الحارث وبعث الرسل إلى قبائل اليمن وأحلافها من قصاعة وعرا بني تميم يوم الكلاب الثاني فغلبتهم بنو تميم وقتلت منهم وأسرت عدداً كبيراً، وأسر عبد يعوث نفسه، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس فانطلق به إلى أهله، وكان العشمي أهوج فقالت له أمه — ورأت عبد يعوث عطيماً حميلاً جسيماً — من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم، فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج فقال عبد يغوث :

وتضحك مني شبيخة عيشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً ثم قال لها : أيتها الحرة، هل لك إلى خير ؟ قالت : وماداك ؟ قال : أعطي أبك مئة من الإبل، وينطلق بي إلى الأهم، فأني أخاف أن تترعني سعد والرباب معه، فصمن له مئة من الإبل، وأرسل إلى بني الحارث فوجهوا بها إليه فقبضها العشمي، فانطلق به إلى الأهم، وأشأ عبد يعوث يقول :

أأهم يا خير البرية والسدا ورهطاً إذا ما الناس عدوا المساعيا تدارك أسيراً عانياً في بلادكم ولا تثقني التيم ألقى الدواهيما قتله :

فمشت سعد والرباب فيه . فقالت الرباب : يا بني سعد، قتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهم إليهم، فأحذه عصمة بن أبيير التيمي، فانطلق به إلى منزله فقال عبد يغوث

— يا بني تيم، اقتلوني قتلة كريمة

فقال له عصمة :

— وما تلك القتلة ؟

قال :

اسقوني الخمر، ودعوني أنح على نفسي

فقال له عصمة :

— نعم

فسقاه الخمر ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل، وتركه ينزف. ومضى عنه عصمة وترك معه اثنين له فقالا :

— جمعت أهل اليمن، وجئت لتضطلمنا، فكيف رأيت الله صنع بك ؟ فقال عبد يعوث في ذلك :

ألا تلوماني كفى اللوم ما ييا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
قال : فصحكت العشمية، وهم أسروه، وذلك أنهم لما أسروه شدوا لسانه بنسعة
(سير من جلد) لئلا يهجوهم، وأبوا إلا قتله .

دريد بن الصمة وعبد يعوث :

عندما رثى دريد بن الصمة أحاه عبدالله أشار إلى عبد يعوث وقتله فقال :
(الحماسة ص ٨٢٢)

تقول : ألا تبكي أخاك ؟ وقد أرى مكان البكا، لكن بُيت على الصبر
فقلت : أعبد الله أبكي أم الذي له الجَدَث الأعلى قيل أبي بكر
وعبد يعوث تحجل الطير حوله وغز المصاب جنو قبر على قبر
الغناء بقصيدة عبد يعوث

جاء في الأغاني (الدار) ١٦ : ٣٢٧

صوت

فيا راكباً إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهنيس كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا
وتضحك مني شخة عبشمية كأن لم تربي قبلي أسيراً يمانيا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لساني
الشعر لعبد يعوث بن صلافة الحارثي، والغناء لإسحاق، ثقیل أول.

حول القصيدة

مقدمة

تعرضت قصيدة عبد يعوث في رثاء نفسه إلى ما تعرض له سائر الشعر العربي
من شكوك. وإليك ما ورد في كتاب الأسر والسجن في شعر العرب ص ٤٤٠
قال :

وزيد في قصيدة الأسير عبد يعوث بن صلاء الحارثي اليمني زيادة بمقدار الثلث، وهي في المفضليات عشرون بيتاً ووقف الأصمعي في روايتها عند البيت الثاني عشر، ولم يصح له منها غير هذا القدر^(١). وقد يعترض أن اختلاف مصادر الرواية وطرقها بين مدرستي الكوفة والبصرة سبب للحلاف في عدد الأبيات. وإذا صح هذا الافتراض في بعض القصائد، فإن القدر الموضوعي يأباه في قصيدة عبد يغوث، ويرجع وضع ثمانية أبيات ريدت في نهايتها، فقد نظم الأسير قصيدته بين أعدائه، وهم رواتها بعد أن قتلوه، وليسوا من العفلة أن يرووا ما يسيء إلى سمعتهم، وهو في البيت الثالث عشر يعرض بسائهم وميلهن إلى العاحشة^(٢)، ولا شك أن العصبية اليمنية أضافت مثل هذا الشعر إلى أصل القصيدة تغييظاً لبني تميم الذين يفخرون بأسره وقله.

والحق أن الشك يمكن أن يلحق بعض أبيات القصيدة، ولا سيما البيت الذي يعرض فيه بنساء بني تميم، وتبقى القصيدة في مجملها صحيحة السبب لعبد يعوث.

القصيدة

أبيات القصيدة : تختلف المصادر في أبيات القصيدة اختلافاً، فهي ١٨ أو ١٩ أو ٢٠ أو ٢١ وتبلغ أحياناً ٢٣ بيتاً إذا أضفنا إليها بيتين قالهما عبد يغوث في مدح الأهم واستعطاه وهما رقم ١ و ٢ وبيتاً أورده ابن الأثير هو رقم ٢٣.

- (١) أَهْتَمُّ يَا حَيْرَ البرِّةِ والدَّاءِ ورهطاً إذا ما الناسُ عَدَّوا المساعيا
- (٢) تدارك أسيراً عانياً في حبالكم ولا تُثَقِّمَنِي التيممُ القُي الدَّواهيَا
- (٣) ألا لا تلوماني، كفى اللوم مايا فما لكما في اللوم حير ولا ليا
- (٤) ألم تعلمَا أن الملامة معها قليل، وما لومي أحي من شماليا
- (٥) فيا راكباً إمّا عرضتَ قَبْلُغَن نداماي، من بحران، الأتلاقيا
- (٦) جزئى الله قومي بالكلاب ملامة صريحهم والآخريَن المواليا

(١) انظر المفضليات شرح ابن الأباري طبع الآباء اليسوعيين ص ٣/٧ قد الأصمعي إلى عامما سمعت (البيت ١٢) ولم أصح بقتها.

(٢) قال

وظل مساء الحبي حولي ركبت يسراودن مبي ما تريد سائيا

(٤) شمالي : أخلاقي (٦) الصريح : العربي الخالص. الموالى هاهنا الخلقاء.

- (٧) أبا كرب، والأيهنير كليهما وقيساً بأعلى حصرموت الجاهيا
 (٨) ولو شئت نجيتي، من الخيل، نهدة ترى خلفها الحو الجياد تواليا
 (٩) ولكنتي أحي ذمار أيكم وكان الرماح يخططن المَحاميا
 (١٠) أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لساني
 (١١) أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا فإن أحاكم لم يكن من يوايا
 (١٢) فإن تقتلونني تقتلوا بني سيدا وإن تطلقوني تحربوني ماليا
 (١٣) أحقاً عماذ الله، أن لست سامعاً نشيد الرعاء، المعزين، المثاليا
 (١٤) وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تربي قبلي أسيراً يمانيا
 (١٥) وظل نساء الحَي جولي ركدأ يُراوذن مني ما تريد نسائيا
 (١٦) وقد علمت عرسي مُليكة أنني أنا الليث، معدواً عليه وعاديا
 (١٧) وقد كنت نَحارَ الجزور ومعمل الـ مطي وأمضي حيث لأحي ماضيا
 (١٨) وأنحر للشرب الكرام مطيتي وأصدع بين القينتين ردائيا
 (١٩) وكنت إذا ما الخيل شَمصها القنا لبقاً بتصريف القناة بنانيا
 (٢٠) وعادية سَوَمَ الجراد وزغتها بكفي وقد أبحوا إلي العوايا
 (٢١) كأنني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلى كُري، نفسي عن رجاليا
 (٢٢) ولم أستب الرُق الروي ولم أقل لأيسار صدق: أعظموا ضوء ناريا
 (٢٣) فيا عاصر فلك القيد غني، فإنني صبور على مَرِ الحوادث ناكيا
 تذكير :

ونذكر القاريء برأي الحاحظ في رثاء عبد يغوث لنفسه، هذا الرأي الذي
 أوردناه في آخر قصيدة طرفة بن العبد لنفسه (انظر طرفة).



- (٧) أبو كرب : بشر بن علفة، الأيمان الأسود بن علفة والمقلب وهو المسيح بن أيمس
 (٨) نهدة : عالية مرتفعة. الحو : جمع حواء التي تضرب إلى الخصرة بواليا : متتابعة
 (١٠) النسعة : سم من جلد يشد به لسان الأسير الشاعر لكيلا يهجو أسرته، وقيل أراد اعلوا لي خيراً لأشكركم
 (١١) أسجحوا : يسروا أمري ولعصوا عني (١٢) ي بوايا لم أقل صاحبكم ماقتل به
 (١٣) علق مؤلف (الأسر والسجن في شعر العرب) على هذا البيت فقال ويبدو صراخ الأرباع في أمامه البعيدة
 في بيت حطب به عبد يغوث لما تفرق أد الذي أسروه، لابد قائلوه
 (١٨) القينتين متني قينة وهي الأمة المعية. (١٩) شَمصها : نقرها وبددها.
 (٢٠) سَوَمَ الجراد انتشار الجراد في المرعى ورعته كصمتها أبحوا الرماح أمالوها بحوي العادية القوم يعدون

قيس بن الحُذَاديَّة

(... — ...)

(... — ...)

المصادر القديمة

- ١ — الأغاني (الدار) ١٤٢ — ١٦٠
- ٢ — من نسب إلى غير أمه من الشعراء لابن حبيب من
نوادير المخطوطات ٨٦ — ٨٧
- ٣ — المرزباني في معجم الشعراء ٢٠٢
- ٤ — الحماسة البصرية ٢ : ١٣٩

المصادر الحديثة

- ٥ — الأعلام ٦ : ٦١
- ٦ — الشعراء الصعاليك (خليف) ٩٦ — ٩٨

لا نعرف متى ولد ومتى مات، وكل ما نعرفه عنه أنه شاعر جاهلي جاء في معجم الشعراء (٢٠٢) :

قيس بن الحُدادية، والحُدادية أمه، وهي من بني حُداد من كنانة، وقوم يجعلونها من حُداد محارب، وحُداد بالضم من كنانة، وحُداد بالكسر من محارب، وهو قيس بن منقذ .. وهو شاعر قديم. كثير الشعر

أما ابن حبيب في كتابه (من نسب من الشعراء إلى أمه) فيقول: (١) :
٨٦ — ٨٧) قيس بن الحُدادية، وهي أمه من محارب . حصرمية، وله شعر ويضيف صاحب الأغاني شيئاً آخر فيقول: (الأعاني ١٤٠ — ١٤٢ — ١٦٠)
.. شاعر من شعراء الجاهلية — وكان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعتة خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه، فلا تحمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه..

ويذكر أبو الفرج بعض معامرات قيس وعاراته ويذكر أسره مع بعض بني خزاعة، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسره إلى مكة في الأشهر الحرم لبيتاعهم قومهم، ففقدوا إلى الخلاء^(١)، وفيهم قيس بن الحُدادية، فأخرجوهم وحملوهم وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم، فمر بهم عدي بن نوفل فاستجاروا به فابتاعهم وأعتقهم فقال قيس يمدحه (ويذكر أبيات قيس)

ولم نر ضرورة لذكرها في هذا البحث.

ويمضي أبو الفرج في الحديث عن قيس ويذكر حبه لأم مالك الخزاعية، قال أبو عمرو :

وكان قيس بن الحُدادية يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام — لأهم أجذبوا — حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا البروق خلفهم — وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر

(١) الخلاء: مكان.

وغرارته فرجع عمرو بن عبد مانه في ناس كثير إلى أوطاسهم، وتقدم قيصة بن دؤيب، ومعه أخته أم مالك — واسمها نعم بنت دؤيب — فمضى فقال قيس بن الحداية هذه القصيدة التي منها العناء المذكور .

وأورد أبوالمرحر قصيدة قيس وهي طويلة تقع في ٤٤ بيتاً رأيت أن أقصر منها على الأبيات التي تعنى بها إسحاق منها، فمن أراد الريادة راجع القصيدة في الأغاني .

ثم يورد أبوالمرحر قصيدة ثانية يائية لقيس، يذكر بين الحي وتفرقهم ويسبب بهم. دخلت بعض أبياتها في شعر المجنون.

مقتل قيس

جاء في الأغاني :

قال أبو عمرو: وكان من حذر مقتل قيس بن الحداية أنه لقي جمعاً من مريّة يريدون العارة على بعض من يجدون فيه غرة، فقالوا له : استأسر فقال . وما يسمعكم مني إذا استأسرت وأنا حليع ؟ والله لو أسرتوني ثم طلبتم بدمي من قومي عزاً جرباء جذماء^(١) ما أعطيتموها.

فقالوا له استأسر لا أم لك^(٢) فقال:

مسي على أكرم من داك، وقاتلهم حتى قتل وهو يرتجر

(الأرجوزة)

وقيل: إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأعاروا عليه وفيهم روجها، فأفلت منهم في ظل، وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه فقاتلهم، فلم يرل يرتجز، وهو يقاتلهم، حتى قتل.

(١) جذماء : منطوعة اليد

(٢) لا أم لك شتيمة معروفة عند العرب

أرجوزة قيس بن الخدادية قبل مقتله

- ١ أنا الذي تخلعه مواليه^(١)
- ٢ وكلهم بعد الصفاء قلبه
- ٣ وكلهم يقسم لا يباليه
- ٤ أنا إذا الموت ينوب غاليه
- ٥ محتلط أسفله بعاليه
- ٦ قد يعلم الفتيان أني صاليه
- ٧ إذا الحديد رفعت عواليه

قال أبو الفرج :

وقد جمع معه كل ما يغنى في هذه القصيدة :

- (١) أجذك أن نعم مات أنت جازع قد اقتسرت لو أن ذلك نافع
- (٢) وحسبك من بأي ثلاثة أشهر ومن حرد أن شاق قلبك رابع
- (٣) بكت عين من أبكاك، ليس لك البكى ولا تتحالك الأمور السوارع
- (٤) فلا يسمع سري وسرك ثالث ألا كل سر جاور اثنين شائع
- (٥) وكيف يشيع السر مي ودونه حجاب، ومن فوق الحجاب الأصابع

(١) التخرج : الأغاني : ١٤ : ١٦

(١) الموالى هنا : الأصل وأبناء العم، وإلغاء للسكت. (٢) قلبه : كاره، ميعض

(٣) يقال لا يباليه ولا يبالى به (٤) العالى : اللبائع القشدد.

(٦) صالي : مفتحم ، موقد. (٧) العوالي : الرماح.

(٣) تتحالك تتدعك وجاددت السوارع مضموم التي سرع الحوس من الصدر

- (٦) كان قوادى بين شقين من عصا حذار وقوع البين والسير واقع
 (٧) وقالت — وعيناها تفيضان عبرة بأهلي بين لي متى أت راجع
 (٨) فقلت لها بالله يدري مسافر إذا أضمرت الأرض ما الله صانع
 (٩) فشدت على فيها اللثام وأعرضت وأقبلت بالكحل السحيق المدامع

خاتمة

ولا بأس أن نختتم الحديث عن قيس بهذه الكلمة العادلة التي أوردها د. يوسف خليف في كتابه (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص ٩٧ — ٩٨) قال:
 (وطل هذا الصعلوك «قيس» المتمرد يجمع الخلاء والشذاذ ويغيرهم حتى قتل، وهو خليع، قتلة كان فيها شجاعاً حتى النهاية، وقبل أن يوشك سراح حياته على الانطفاء تذكر تلك الحادثة التي كانت سبباً في تلك الحياة القاسية التي عاشها طريداً مشرداً، حادثة خلعه، فأخذ ينشد — وهو يقاتل — نشيداً فيه حسرة، وفيه شجاعة وفيه اعتداد بالنفس : حسرة على حياته التي ذهبت مع الريح بعد أيام جميلة قضاها في حمى القبيلة، في اللهو تارة وفي الجد تارة أخرى^(١)، عُضواً عاملاً في مجتمع القبيلة، يدافع عنها، ويشيد بمآثرها ويهجو أعداءها، بل يقودها أحياناً في شجاعة إلى مواقع النصر^(٢))



(١) يدري بحذف لا، ولأصل لا يدري أو بحذف همزة الاستفهام أي يدري ؟ وروي في المرواني فقت لها والده ما من مسافر يحيط بعلم الله، ما الله صانع.
 (٢) السحيق : المسحوق

(١) فيوماي يوم في الحديد مسربلاً ويوم مع البسير الأوانس لاهياً
 (الأعالي ١٤ : ١٥٩)

(٢) وفي معجم الشعراء (٢٠٢) أبيات ثلاثة معبرة يذكر فيها قيس نوه في شبابه، وحسرة في شبابه قال

هل الأثم كالآرام والرهـ كالدسي مـاودني أهاـ من الصوالـج
 رمان سلاحي بسـ شينسي لها مائـف في سبيـن ورامـج
 فأقسـس لا يسفيـني قطـر تـرمـية لثيبي ولو سالت بين الأباطـج

حُبَيْب بن عَدِي

(. - ٤ هـ)

(. - ٦٢٤ م)

المصادر

- ١ - تاريخ الطبري ٢ : ٥٣٨
- ٢ - الأغاني (الدار) ٤ : ٢٢٥ - ٢٢٧
- ٣ - سيرة ابن هشام ٣ : ١٧١ - ١٧٦
- ٤ - الروض الأنف ٢ : ١٦٧ - ١٧٦

نسبه :

هو خُثَيْب بن عدي أخو بني جحجني بن كلفة بن عمرو بن عوف، من الأنصار: شهيد من شهداء الإسلام الأوائل.

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

غزوة الرجيع

حاء في تاريخ الطبري ٢ : ٥٢٨ — . تحت هذا العنوان السابق:

... قدم على رسول الله بعد أحد رهط من عصل والقارة فقالوا له: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً وحيراً فابعث معنا بطلاً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام فيبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معهم بطلاً ستة من أصحابه: مرثد بن أبي مرثد العوي حليف حمرة بن عبدالمطلب، وحالد بن الكير حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخا بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي أخا بني جحجني بن كلفة بن عمرو بن عوف، ورید بن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر، وعبدالله بن طارق حليفاً لبني ظفر من بني.

وأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على القوم مرثد بن أبي مرثد، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء هذيل ساحية الخمار من صدور الهداة) عذبوا بهم، فاستصرحوا عليهم هديلاً، فلم يُرع القوم — وهم في رحالهم — إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد عشوهم، فأحدوا أسياقهم ليقاتلوهم فقالوا لهم:

إنا والله لا نريد قتلکم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم.

فأما مرثد وخالد بن الكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقالوا:

والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً

فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً.

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبدالله بن طارق فلبوا وورقوا ورعبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم^(١)، فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليسيئروهم بها،

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا

حتى إذا كانوا بالطهران، اترع عبدالله بن طارق يده من القِرا^(٢)، ثم أخذ
سيمه واستأجر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبزه بالطهران.

وأما حبيب بن عدي وريد بن الدثنة، فقدما مها مكة، فباعوهما، فابتاع
حبيباً حُجَيْرُ بن أبي إهاب التميمي .. ليقتله بأبيه .. وأما ريد بن الدثنة فابتاعه
صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن حلف ..

قال أبو جعفر، وأما غير ابن إسحاق، فإنه قص من خبر هذه السرية غير
الذي قصه والذي قصه غيره ... أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
بعث عشرة رهط وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهدأة
ذكروا الحي من هذيل يقال لهم . بنو الحيان، فبعثوا إليهم مائة رجل راميا، فوجدوا
مأكلاً لهم حيث أكلوا التمر، فقالوا : هذه نوى يثرب، ثم اتبعوا آثارهم، حتى إذا
أحس بهم عاصم وأصحابه التجأوا إلى جبل فأحاط بهم الآخرون فاسترلوهم
وأعطوهم العهد فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافر، إليهم أحر بيت
عنا، ويرر إليهم ابن الدثنة البياضي، وحبيب، ورجل آخر، فأطلق القوم أوتار
قسيهم ثم أوثقوهم، فخرجوا رجلاً من الثلاثة فقال . هذا والله أول العدر، والله
لا أتبعكم فصربوهم فقتلوه، وانطلقوا بحبيب وابن الدثنة إلى مكة، فدفنوا حبيباً
إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان حبيب هو الذي قتل
الحارث بأحد . فبينا حبيب عند بنات الحارث إذ استعار من إحدى بنات الحارث
موسى يستحذ^(٣)ها للقتل، فما راعت المرأة، ولها صبي يدرج — إلا بحبيب
قد أجلس الصبي على محده، والموسى في يده — فصاحت المرأة، فقال حبيب .
أتخشين أني أقتله. إن العدر ليس من شأننا

فقالت المرأة بعد :

— ما رأيت أسيراً قط حيراً من خبيب . لقد رأيته وما عمكة من ثمرة، وإن
في يده لقطماً من عيب يأكله، إن كان إلا رزقاً رزقه الله حبيباً ...

(٢) الخيل يربط به الأسير

(٣) يستحذ : يخلع شعر عاتقه فلا يظهر عند قتله.

مقتل خبيب :

فما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال : دروني أصل ركعتين، فتركوه
فصلى سجدتين، فجرت سة لم قتل صبراً أن يصلي ركعتين، ثم قال خبيب :
لولا أن يقول جرّغ لردت وما أبالي على أي شق كان لله مصرعي
ثم قال :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوي ممرّع.
اللهم أحصهم عدداً وخذهم بئداً.

ثم خرج به أبوسروعة بن الخارث .. فضربه فقتله

مقتل زيد بن الدثنة :

قال أبو جعفر . وأما زيد بن الدثنة، فإن صفوان بن أمية بعث به مع
مولى له يقال له سسطاس إلى التميم، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع إليه رهط
من قريش فيهم أبوسفيان بن حرب، فقال له أبوسفيان حين قدم ليقتل : أنشدك
الله يا زيد، أتحب أن محمداً عبداً الآن مكانك نصرب عنقه، وأنت في أهلك ؟
قال :

— والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤديه،
وأنا جالس في أهلي. قال يقول أبوسفيان :
— ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.
ثم قتله سسطاس.

هل صلب خبيب

وربما قتل خبيب صلباً أو صلب بعد قتله.

جاء في تاريخ الطبري ٢ : ٥٤١

حدثنا ابن كريب قال: حدثنا جعفر بن عوف، عن إبراهيم بن اسماعيل قال:
وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده أن رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — بعثه عيناً إلى قريش قال: فجئت إلى حشبة خبيب، أنا أتخوف
العيون، فرقيت فيها فحللت خبيماً، فوقع إلى الأرض فانتبدت غير بعيد ثم لم
أر لخبيب رمة^(١)، فكأنما الأرض ابتعلته، فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة.

وفي الطري : ٥٤٤ تفصيل أكثر :

قال عمرو بن أمية ثم خرجنا إلى النعم، فإذا حشة حبيب، فقال بي صاحبي — هل لك في حبيب ترله عن خشته ؟ فقلت : وأين هو ؟ قال : هو داك حيث ترى فقلت : نعم، فأمهلني وتبع عني قال : وحوله حرس يحرسونه، فاشتددت إلى خشته فاحتلته واحتتمته على ظهري، فوالله ما مشيت إلا أربعين ذراعاً حتى بدروا لي فطرحته، فما أسى وحتته^(١) حين سقط فاشتدوا في أثري، فأخذت طريق الصفراء، فأعيوا فرجعوا ..

وبلاحظ أن الخبر الثاني لا يذكر احتفاء جثة حبيب — رحمه الله — ويذكر الصري ٢ : ٥٩٥، في عروة بني لحيان سنة ست أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حرح ... يطلب بأصحاب الرجيع، حبيب بن عدي وأصحابه ..

ثم يذكر خبر العزوة

قصيدة خبيب بن عدي قبل قتله

قال ابن إسحاق^(٥) :

وكان مما قيل في ذلك من الشعر قول حبيب بن عدي حين بدعه أن القوم اجتمعوا لصلبه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يكرها له

- (١) لقد جَمَعَ الأحرابُ خولي وأنبوا قبائهم واستجمعوا كُلَّ مَجْمَع
- (٢) وكُنْهُمْ مُدِي العداوة حَاهِدٌ عَلَيَّ لَأَسَى فِي وثاقٍ مُضِيع
- (٣) وقد جَمَعُوا أَسَاءَهُمْ وَسَاءَهُمْ وَقُرْبْتُ مِنْ جَذَعٍ طَوِيلٍ مُنْع
- (٤) إلی الله أشكو غُرْبتي ثم كُرْبتي وما أُرْصِدُ الأحرابَ لي عِندَ مُصْرَعِي
- (٥) فدا العرشَ صَبْرِي على ما يرادُ بي فقد بَصَعُوا لَحْمِي وقد يَاسَ مَطْمَعِي

(١) رمة : جثة. (٢) صوت سقوطه

(٥) التبرج: سيرة ابن هشام، تحقيق السعا والأيلاري والشبي، مطبعة البابي القاهرة ١٩٣٦

(١) أنبوا : جمعوا وحصوا

(٤) أُرْصِدُ : أُمِد

(٥) بَصَعُوا : قطعوا. يَاسَ (بتخفيف الحرة) لغة في يَسَ

- (٦) وذلك في ذات الإله، وإن يشأ يبارك على أوصال شدي ممرع
 (٧) وقد حيروني الكهر والموت دونه وقد هملت عيالي من غير مخرع.
 (٨) وما لي جدار الموت، إني لميت ولكن جداري جحيم بار ملقع.
 (٩) ولست أبالي حين أقتل مُسماً على أي جنب كان في الله مصرعي
 (١٠) ولست بمبد للعدو تحشعاً ولا جرعاً، إني إلى الله مرجعي

هذه قصيدة خبيب بن عدي التي قالها قبل قتله وصده.

وأرى أن لا سبيل إلى إنكارها فقد وردت بعض أبياتها في كثير من مصادر السيرة والأدب، وحسبك أن الطبري قد أورد بيتاً وشطراً منها في تاريخه ٢ : ٥٣٨ في حديثه عن غزوة الرجيع، ثم إن الروح الإسلامية في استسلامها لله، وفي إنكار الكهر، وفي استقبال الموت استقبال الرجال، واضحة كل الوضوح، فلا مجال لشك ابن هشام فيها.

حسان بن ثابت يروي خبيب بن عدي

كان لعذر بني عصل والقفارة بيعة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إليهم، وهم الذين طلبوا هذه البيعة لتمقهم بالدين وتقرئهم القرآن وتعلمهم شعائر الإسلام، أثر كبير في غضب المسلمين وفي رعتهم في الأحد بشار إخوانهم القتلى غدراً وخيانة.

وقد هزت الحادثة شاعر المسلمين، حسان بن ثابت فحضر حبياً بن عدي بثلاث قصائد في رثائه وردت في ديوان حسان في الصفحات ٣٤ و ١٣٩ و ١٧١ ورأيت أن أذكرها كلها لبيان قيمة الشهيد خبيب ومقدار الأسى والعصب من الغدر به وبأصحابه ثم قتله وصلبه.

قال حسان: « يروي خبيباً بن عدي الأنصاري :

- (١) يا عين جودي بدمع منك مسكب وأبكي خبيباً مع العادين لم يؤت
 (٢) صقراً توسط في الأنصار مصبه حلوا السجية، مخصاً غير مؤتشب

(٦) الشمر : البعة الباقية. مخرع : مقطع (٧) هملت : سال دمعها

(٨) جحيم : المذهب، التقصد، ومنه سميت الجميع. ملقع : شامل عام

(٩) التخرعج : ديوان حسان : دار الثرات العربي (مروى) (١) لم يؤوب : لم يعد

(٢) المؤتشب : الدخيل، المخلط

- (٣) قد هاج عيني على غلاتِ غبرتها
 (٤) يا أيها الراكب الغادي لطيته
 (٥) بني فكينة إن الحرب قد لفتت
 (٦) فيها أسود بني التجار يقدمهم
- وقال حسان يرثي خبيبا (٥)

- (١) لو كان في الدار قوم ذو محافظة
 (٢) إذا حلت خبيب منزلاً فسحا
 (٣) ولم يسفك إلى التنعيم زعنفه
 (٤) صبراً خبيب فإن القتل مكرمة
- وقال حسان يرثي خبيبا بن عدي الأصاري (٥)

- (١) ما بال عينك لا ترقا مدامعها
 (٢) على خبيب وفي الرحمن مصرعه
 (٣) فأذهب خبيب، جزاك الله طيبة
 (٤) ماذا تقولون إن قال البي لكُم
 (٥) فيما قتلتم شهيد الله في رجل
 (٦) أبا إهاب فبين لي حديثكم
 (٧) لا تذكرن إذا ما كنت ممتخراً
 (٨) ولا عزيزاً فإن الغدر منقصة



- (٣) يؤيد هذا البيت الذي نظمه حسان في عهد عيب أنه صلب
 (٥) بنو فكينة : القوم الذي غفروا لخبيب، لفتت : اشتدت، الملهوب : اليس، غمرى : تمسح ليدبر السب
 (٥) الديوان : ١٣٩ (١) الكيل : القيد والسجن (٢) التنعيم : مكان، الزعنفه : الجماعة من سفلة الناس.
 (٥) التخريج : الديوان ص ١٧١
 (١) ترقاً : جمع، وخضعت الحمزة. المسح : الصب والسكب. الفلق : المقطع المتناثر
 (٢) الفشل : الخائف للحيوان.
 (٣) الرفق : الرضاء والأصحاب.
 (٤) حين الملائكة في الأمان أراد يوم القيامة
 (٥) أوعث : أفسد كثيراً. (قلب حمرة الفطع حمرة وصل).
 (٦) الورق (بكسر الراء) القصة

سحيم عبد بني الحسحاس

(. - نحو ٤٠ هـ)

(. - نحو ٦٦٠ م)

المصادر

- | | |
|---------------------------------|--------------------|
| صحة عبدالعزیز المیمی | ١ دیوان سحیم |
| الملاحظ ١ : ٩٤ — ٩٥ | ٢ البیاء والتیین |
| ابن قتیبہ ص : ٣٦٩ — ٣٧٠ | ٣ الشعر والشعراء |
| ابن سلام ص : ١٨٧/١٧٢/٩٢ — ١٨٨ | ٤ طبقات الشعراء |
| المبرد ص : ٣٦٦ | ٥ الكامل |
| الترجمة رقم ٣٦٦٤ | ٦ الإصانة |
| العسكري ١٦٦ | ٧ دیوان المعالی |
| الخالدیان ١٥٣ | ٨ الأشباه والنظائر |
| سحة المیمی ١٣٦ المصنوعة ٢ . ٢٧٢ | ٩ المعتالون |
| ١١٢ | ١٠ السیوطی |
| ٣١٣ : ١ | ١١ فوات الوفیات |
| ٧٢٠ — ٧٢١ | ١٢ سمط اللآلیء |
| البغدادي ١ : ٢٧١ — ٢٧٤ | ١٣ خزائن الأدب |

أخبار سحيم وترجمته

يكى أبا عبدالله وقيل في اسمه : حية، وسحيم : تصغير ترحيم الأسحيم بمعنى الأسود، وقتل في حدود الأربعين من الهجرة — كما في القوات — ولكمهم اطيعوا على أن مقتله كان في زمن عثمان، أي قبل ٣٥ من الهجرة. وكان يرتضح لكفة أعجمية. كان يشد ويقول : أحسنك والله. يريد أحسن

سحيم وعمر

وأشد عمر — رضي الله عنه — ياتيه فقال لو قلت شعرك مثل «كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا» لأعطيتك عليه، وقيل إنه قال : لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتلك، قال : ما سمرت يريد : ما سمرت

النبي وسحيم

كان أدرك النبي — صلى الله عليه وسلم —، وقد تمثل بشيء من شعره يروى أنه تمثل : «كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا» فقال أبو بكر : إنما هو «كفى الشيب والإسلام»، فأعادها النبي — صلى الله عليه وسلم — كالأول فقال أبو بكر : أشهد إنك لرسول الله «وما علمناه الشعر وما ينبغي له».

سحيم وعمر

ويقال إن عمر — رضي الله عنه — سمعه يشد :
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَبِينِ فَتَاتِكُمْ عَرَقٌ عَلَى ظَهْرِ الْمِرَاشِرِ وَطَيْبُ
فقال له : إنك مقتول .

كيف قتل سحيم :

.... فسقوه — بنو الحسحاس — الخمر ثم عرصوا عليه نسوة فلما مرت به التي كان يتهم بها، أهوى إليها فقتلوه.

خبر ابن حجر في الإصابة

ونقل ابن حجر في الإصابة خبراً غريباً في مقتله، أن امرأة من بني الحسحاس أسرها بعض اليهود فاستخلصها لنفسه، وجعلها في حصن له، فبلغ ذلك سحيم وأخذه العيرة، فمارال يتحيل حتى تسور على اليهودي حصنه فقتله، وحلص امرأه فأوصلها إلى قومها، فبقية يوماً فقالت له : يا سحيم والله لو ددت أني قدرت على مكافأتك على تخليصي من اليهودي ففعل لها : والله إنك لقادرة على ذلك، وعرض لها بنفسها، فاستحييت ودهست، ثم لقينته أخرى، وعرض لها بذلك فأطاعته وهويها وطفق يتعرل فيها، وكان اسمها سيمه، ففصصوا له «قتلوه»، حشية العار عليهم بسبب سمية. ٥١ .

وعلق الميمني : فهذا مما يخفف شناعة صنيعه.

رواية الخالدين

وروى الخالديان ص ١٥٣ : أنه لما أطال التشيب بساء قومهم مثل قوله : «وهي بات القوم إن يشعروا ساء تأمر قومهم في قتله، واجتمعوا لذلك في شرب لهم، وأحضروه معهم، وكان شجاعاً رامياً، وكان له قوس لا يفارقها، ولا يقدر أن يوترها غيره، فلما أخذ فيهم الشراب قال له بعضهم : يا سحيم، أراك تقطع وتر قوسك هذه إن شددت بها كتافاً ؟ قال : نعم قالوا له : حتى نطر. فأمكنهم من نفسه حتى أوثقوه بالوتر قالوا له : اقطع، فاستحي فيه فلم يقطعه. فحين رأوا ذلك وثبوا عليه بالحشب فصربوه حتى كادوا يقتلوه، ثم تعادلوا في أمره، وتركوه رحمة له. فمرت به امرأة من سائهم وهو مكتوف، فطر إليها وقال، وهم يسمعون :

«إن تضحكي مني فيارب ليلة تركتك فيها كالقياء الممرح

ملاحظة : إلى هنا ينتهي كلام الميمني في مقدمة الديوان

روايات أخرى في مقتل سحيم :

١ - وذكر محمد بن حبيب في كتاب من قتل من الشعراء أن سحيماً كان صاحب ثعل فاتهمه مولاه بابتته، فجلس له في مكان إذا رعى سحيم قال^(١) فيه، فلما اضطجع تنفس الصعداء ثم قال^(٢) :

بَا ذِكْرَةَ مَالِكٍ فِي الْحَاصِرِ تَذَكُّرُهُـُـا وَأَنْتَ فِي الصَّادِرِ
مِنْ كُلِّ بَيْصَاءٍ لَهَا كَعَشْبٌ مِثْلُ سَامِ الْبَكْرَةِ الْمَائِرِ
فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ، وَظَهَرَ مِنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ كَمَسَ فِيهِ . مَالِكُ ؟ فَلَجَلَ
فِي نَطْقِهِ، فَمَا رَجَعَ وَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ خَرَجَتْ إِلَيْهِ صَاحِبَتُهُ وَحَدَّثَتْهُ وَأَحْبَرَتْهُ بِمَا
يُرَادُ بِهِ، فَحَامَ يَنْفُضُ بَرْدَهُ، وَيَعْفِي أَثَرَهُ، فَلَمَّا انْطَلَقَ بِهِ لِيَقْتُلَ صَحْبَكَ امْرَأَةً كَانَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا شَيْءٌ فَقَالَ :

إِنْ تَصْحَكِي مَتَى فَيَارَتْ لَيْلِي تَرَكْتُكَ فِيهَا كَالْقَبَاءِ الْمَفْرُوحِ
فَلَمَّا قَدِمَ لِيَقْتُلَ قَالَ :

شُدُّوا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يَغْلِبُكُمْ إِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَيْنِ فَتَاتِكُمْ عَرَقٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَاشِ وَطِيبُ
فَقَتْلٍ — انتهى

(خزانة الأدب ١ : ٢٧٤)

٢ - في سبط اللآلئ ٧٢٠ - ٧٢١

... فاشتراه ابن معبد، فكان كما قال عثمان : شبب بينته عميرة وفحش مشهرها
فخرقة بالنار (وفي الحاشية قتل ثم أحرق)

رأي القدماء في شعره

١ - ابن سلام الجهمي في طبقات الشعراء ص ١٧١ - ١٧٢

(١) م

(٢) في خزانة الأدب تصحيح والتصحيح من الديوان ص ٣٤، والكعب مرج المرأة والبكرة الناقة

الطبقة التاسعة:

أربعة رهط

• رابع عدد بني الحسحاس، وهو حلو شعر رقيق حواشي الكلام
(ص ١٨٧ — ١٨٨)

٢ — رأي ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٣٦٩ (الترجمة ٦٥)
وكان حشياً مُعَلَّطاً^(١) قبيحاً .
وكان شاعراً محسناً

وأضاف ابن قتيبة :

ومما أخذ عليه في شعره قوله : وذكر النفاذ وعشيقته .

فصارال بُردى طَبّاً من ثيابها إلى الخَوَلِ حتى أَسَاحَ الرُّدُ بالياء
وقال آخرون :

هد التوهم لفرط العشق، وهو نحو قول الأعرابي حين قيل له : ما بلغ من
حبك لها فقال : إني لأذكرها وبينني وبينها عقبة الطائف، فأجد من ذكرها ريح
المنسك .

٣ — رأي ابن الأعرابي^(٢) :

أورد بعض أبيات القصيدة الياثية التي منها هذا البيت وكان يسمى القصيدة
«الدياح الحسرواني»

٤ — المفضل الضبي^(٣) :

القصيدة — الياثية — كان المفضل الضبي يسميها «الدياح الحسرواني»

(١) مُعَلَّطٌ — نال من التعليل — موسوماً بالعلامة — بكسر العين وحذف اللام — وهو خصوص حصل منه في عرص
عنى البعر والظاهر أنه استعمل هنا في الخصوص التي يصنعها بصر البصر في وجوههم

(٢) أسج رث وبل
(٣) هامش رقم ٤ في شعر والشعراء ص ٣٦٩

(٤) هامش حرف (ب) في ديوان صحيح ص ١٦

رأيي في شعر سحيم

١ - أعتبر شعر سحيم حلقة وصل بين عرل امرئ القيس وغزل عمر بن أبي ربيعة وهكذا تتسلسل مدرسة المرمر المكشوف :
أ - امرؤ القيس ب - سحيم عبد بن الحسحاس ج - عمر بن أبي ربيعة

وأكتفي للدلالة على ذلك بيئتين :

قال سحيم^(١) :

تُعْقِي بِأَثَارِ الثِّيابِ مِثْلاً وَيَنْقُطُ رَفْضاً مِنْ حُجَمَانٍ تُخْطِئُ
وقال عمر^(٢) :

فَقَامَتْ تُعْقِي بِالرِّدَاءِ مَكَاساً وَتَنْطَبِثُ شَذْراً مِنْ حُجَمَانٍ مُتَبَدِّدٍ
وكلتا الصورتين واحدة .

٢ - بلغ سحيم في شعره مستوى رفيعاً من الأسلوب الحر مع محافظته على الرقة والحلاوة، مما دعا عالمين عرييين كبيرين كاس الأعرابي والمفضل الصفي إلى إطلاق صفة (الدياج الحسرواني) على قصيدته الياثية - وليست أحسن قصائده - ولعل مما يثير العجب أن يطلع سحيم - وهو العبد الحبشي - هذا المستوى الراقى، وكأنه بذلك يمهد الطريق لعدد غير قليل من الشعراء من المرمر والروم الذي بلغوا مرتبة عالية في البيان والشعر .

أشعار سحيم قبل قتله

لم يحفظ لنا ديوان سحيم قصيدة كاملة قبل موته، وإنما هي أبيات متناثرة في الديوان قال بعضها وهو محبوس وقال بعضها عند قتله

(١) الديوان : ٣٥ وروى (نصاً) بدل (رفضاً) وما العبد الحبشي

(٢) الديوان : ٤٨٢

قال سحيم وهو محبوس^(١) :

فَإِنْ تُحْبِسُونِي تُحْبِسُوا ذَا وَلِيدَةٍ وَإِنْ تُطْلِقُونِي تُطْلِقُوا أَسَدًا وَرُذَا^(٢)
وَمَا الْحَبْسُ إِلَّا ظِلٌّ بَيْتٍ سَكَنَهُ وَمَا الْحَلْدُ إِلَّا جِلْدَةٌ قَارَنْتُ جِلْدَ

وقال^(٣) :

إِنْ تَقْتُلُونِي فَقَدْ أَسَخَنْتُ أَعْيُنَكُمْ وَقَدْ أَتَيْتُ حَرَامًا مَا تُطْهِنُونَ
وَقَدْ ضَمَمْتُ إِلَى الْأَحْشَاءِ جَارِيَةً عَذَبْتُ مُقْبِلَهَا مِمَّا تَصُونُونَ

وقال^(٤) :

إِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي وَقَدْ جَرَى لَهَا عَرَقٌ فَوْقَ الْفَرَاشِ وَمَاءٌ
وقال^(٥) :

شَدُّوا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يَقْلُنْكُمْ إِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبٌ
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جِيْنٍ فَتَاتَكُمْ عَرَقٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَاشِ وَطَيْبٌ

ملاحظة : ألاحظ في هذه الأبيات التي قالها سحيم في حبسه وقبل قتله أنه يحافظ
على عزة نفسه، بل إنه يتحدى سجايه ويعيرهم بقتله، ويشير غصهم وغيرتهم
بذكر علاقته بنسائهم .



(١) الديوان - ٥٧

(٢) ذو وليدة : ابن وليدة وولد أمة. الورد : الأحمر صفة للأسد

(٣) الديوان : ٥٩

(٤) الديوان : ٦٠

(٥) الديوان : ٦٠

هدية بن الخشرم

(— نحو ٦٠ هـ)

(— نحو ٦٧٠ م)

المصادر

٢٧٤ . ٢٥٣ . ٢١	١ الأغاني
٦٧٦ — ٦٧١	٢ الشعر والشعراء
٤٧٢	٣ حماسة أبي تمام
. / ٩٩ / ٢٤	٤ حماسة البحري
٢٥٦ : ١	٥ المفتالون
٣٩٧ / ٣٩٠	٦ المصير
٤٦٠	٧ معجم الشعراء
١٥٥ : ٧	٨ الحيوان
في مواضع كثيرة	٩ الكامل
. . ١٨٢	١٠ الزهرة
٤٤٤ — ٤٤٣ / ٢٨٠ — ٢٧٤	١١ شرح شواهد المعنى
٤٤ . ١	١٢ الحماسة البصرية
.... ٨١ : ٤	١٣ خزانة الأدب
٤٧٤ / ٢٢٧ / ٥٥	١٤ حماسة ابن الشجري

مصدر هام مفقود

جاء في الفهرست لابن النديم في أحبار الربيع بن بكار (ص ١٦٧) أن للربيع بن بكار كتاب (أحبار هدية) وهو، ويا للأسف، كتاب مفقود ولو عثرنا عليه لكان فيه خير كثير .

نسبه

هو هُدبة بن نخشرم، من عذرة

وكان له ثلاثة أخوة كلهم شعراء : حوط وسيحان والواسع
وأهمهم حبة بنت أبي بكر ... وكانت شاعرة أيضاً
وكان يكنى أبا سليمان^(٥)

كان راوية للشعر

١ - كان هُدبة راوية للحطيئة

٢ - وكان الحطيئة راوية لكعب بن زهير

٣ - وكان جميل بثينة راوية لهُدبة بن الخشرم.

٤ - وكان كثير عزة راوية جميل.

النزاع بينه وبين زيادة بن زيد :

اصطحب هُدبة وزيادة وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما، فكأنا يتعاقبان
السوق بالإبل، ومع هُدبة اخته فاطمة فرل زيادة فارنجز فقال :

(١) عُوجِي عليا واربعي فاطما ما بين أن يرى البعير قائما

(٢) ألا تريس الدمع مي ساحا حذار دار مك أن ثلاثما

(٣) ففَرَجْتُ مطرداً عراها فعماً يبد القطف السرواسما

(٤) كأن في المشاة مه عائما إلك والدة لأن تناغمما

(٥) خوداً كأن البوص والمآك ما نقأ محالط صرائما

(٦) حير من استقبالك السائمما ومن مناد تبغي معاكما

فغضب هُدبة حين سمع زيادة يرجز بأخته، فرل فرجر بأخت زيادة، وكانت

تدعى أم نخازم وقيل : أم قاسم فقال :

(٥) معجم الشعراء ٤٦٠

(١) ما بين أن يرى البعير قائما : أي ما بين ما يحس البعير من قدامه

(٢) مطرد : متابع البصر، عراها : شديداً معه، صرحه : سرقوه من روم الإبل التي تسير هذا السير

(٤) المشاة : الرماح، عالم : ساح، تناغم : نكح

(٥) البوص : المحر، المآك : ح مأكله وهما مأكلة عن بين الحجر وثمنه : ساء ما عصبه من نرمل والنصرائم

: دون ذلك

(٦) معاكما : يبيك على عكلك (العك : صاح ورجل) حتى شدد

- (١) لقد أراي والعلام الحازما تُرجي انظي صُوراً سواهما
- (٢) متى تقول القصر الرواسما والخلة الناحية العياهما
- (٣) يلعبن أم قاسم وقاسما إذا هبطن مُستَحيراً قاسما
- (٤) ورفع الخادي لها الهمما ألا ترين الخور مي دائما
- (٥) حدار دار ملك أن تلاثما والله لا يشمي السفود الهائما
- (٦) تمسحك اللبسات والمآكا ولا المحام دود أن تلامما
- (٧) ولا اللثام قبل أن تفاقما وتعلو القوائم القوائما

زيادة يهاجم هدبة ويجرحه

قال : فشمته ريادة وشمته هدبة وتسابا طويلاً فصاح بهما القوم : اركبا — لاهلكما الله — فأبى قوم حجاج. وحشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه وهدبة أشدهما حقاً، لأنه رأى أن ريادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله، وكانت أخت زيادة عاتبة. فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حججهما ورجعا إلى عشائرهما.

فلما وصلا إلى ديارهما جمع ريادة رهطاً من أهل بيته، فبيت هدبة فصر به على ساعده وشح أباه حشراً. وقال ريادة في ذلك :

- (١) شججنا حشراً في الرأس عسراً ووقمنا هدية إذ هجاسا
 - (٢) تركنا بالعويند من حسين ساء يلتقطن به الجمانا
- فقال هدبة :

- (١) فإن الدهر مؤثف جديد وشر الخيل أقصرها عناسا
 - (٢) وشر الناس كل فتى إذا ما مرته الحرب بعد المعص لاسا
- هدبة يقتل زيادة :

فلم يزل هدبة يطلب غرة من ريادة، حتى أصابها، فبيته فقتله، وتسحى بحافة

(١) تقول القصر أوردته الحويود شامداً على دمار القول عمان القص العياهم الشداد
(٢) تفاقم : تزيد وتكثر.

(٣) وقنا : من التوقيف في اليد والرجلين وهو سواد وياض يكون فيهما

(٤) العويند وحسن : موضعان

(٥) المعصب : يسكون الصاد : النهر

السلطان. وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص فأرسل إلى عم هدية وأهله فحبسهم في المدينة، فلما بلغ ذلك هدية أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عنه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى شحخص عبدالرحمن بن ريد، أخو زيادة، إلى معاوية وأورد كتابه على سعيد بن العاص بأن يقيد منه إذا قامت البيعة عليه، فسأله سعيد البيعة فأقامها :

هدية بن الحشرم عند معاوية :

كره سعيد بن العاص أن يحكم بين عبدالرحمن بن ريد وهدية بن الحشرم فحملهما إلى معاوية، فلما صارا بين يديه قال له معاوية . قل يا هدية قال . إن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت. قال . بل شعراً فقال هدية ارتجالاً :

(١) ألا يا لقومي للوائب والذهر وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري
(٢) وللأرض كم من صالح قد تأكمت عليه هوارثه بلماعة قصر
(٣) فلا تنقي ذا هية في جلاله ولا ذا صياح، هن يتركن للمفر
(٤) رُميا فراميا فصادف رمينا مايا رجال في كتاب وفي قدر
(٥) وأنت أمير المؤمنين فمالا ورائك من معدى ولا عك من قصر
(٦) فإن تك في أموالنا لم بضق بها ذراعاً، وإن صير فصبير للصير
فقال له معاوية : أراك قد أقررت يا هدية فقال له عبدالرحمن : أقدي فكره ذلك معاوية وصح هدية عن القتل فقال : أريادة ولد ؟ قال . نعم أصغير أم كبير ؟ قال . بل صغير. قال يحبس هدية إلى أن يلع ابن زيادة فأرسله إلى المدينة فحبس بها سبع سنين وقيل ثلاث سنين .

عبدالرحمن بن زيد، أخو زيادة، يأبى الدية

مشيت قبيلة عذرة إلى عبدالرحمن، وسألوه قبول الدية، فامتنع من ذلك وقال . أئتم عيينا كل كل الحرب مرة فحن ميخوها عليكم بكل كل فلا يدعني قومي لزيد بن مالك لئن لم أعجل ضربة أو أعجل وسأله سعيد بن العاص، والي المدينة أن يقبل الدية منه وقال :

(١) تأكمت : صارت أكمة

أعطيك مائة باقة حمراء ليس فيها حذاء^(١)، ولا دات داء فقال :
والله لو نقيت لي مجلسك هذا ثم ملأته ذهباً ما رصيت به من هذا وقال :
تَعْرَى عرس زيادة كل مولى حلبي لا تأوُّبه الهموم^(٢)
وكيف تجلد الأذنين عنه ولم يقتل به الثأر الميسم^(٣)
ولو كسب المصاب وكان حياً لشمّر لا ألف ولا سووم^(٤)
ولا هيابة بالليل نكس ولا ورغ إذا يلقى خشوم^(٥)
فدفع سعيد إليه هدية موثقاً بالحديد.

مقتل بطل

ها تبدأ قصة قتل هدية، وهي قصة تختلط فيها الحقيقة بالزخرفة، والواقع بالخيال، بل إن الخيال يمتد إلى ما بعد قتل هدية، ومهما يكن من أمر فإن هدية مات بطلاً لا يبالي بالموت، بل كان يسير إليه، وهو يرقل في مشيته، وكان ينظم الشعر، وهو يساق إلى القتل.

دفع سعيد إلى عبدالرحمن بن ريد سحبه هدية بن الحشرم موثقاً بالحديد فقال هدية:

فإن تقتلوني في احديد فإسي قتيت أحاكم مطلقاً لم يقيد
فقال عبدالرحمن : لا والله لا قتته إلا مطلقاً فأطلق.

ولما ذهب به إلى الحرة ليقتله اعترضه عبدالرحمن بن حسان، وهو يرقل إلى الموت، فقال ما هذا يا هذب ؟ قال : لا آتي إلى الموت إلا شدا
قال : أنشدني. قال: على هذا من الحال. قال : نعم فأشده:

ولست عمراح إد الدهر سرتني ولا جارح من صرفه المتقلب
ولا أتبعي الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب
وخربي مولاي حتى حشيتي متى ما يُخربك ابن عمك تخرب
ولما جيء به ليقتل قال :

ألا علالي قل نوح الوائح وقبل ارتقاء الفس فوق الخوايح

(١) حذاء : عباءة النير

(٢) تأوُّبه : معناه وتراجعه

(٣) الكس : الضعيف المقصر الجبان. الخشوم : الذي يلصق بالأرض. وهو الأرب

وقبل عبد ياهف بمسي على عبد إذا راح أصحابي ولست برائح.
 إذا راح أصحابي تفيض عيونهم وعودرت في الحيد علي صفائح
 يقولون : هل أصلحت لأحبكم وما القبر في الأرض المصاء بصالح.
 ونظر إلى امرأته، وكانت من أحمل النساء، وكان أمه قد خدع في حرب فقال :
 فإن كان أمي بان منه حاله فما حسبي في الصالحين بأخذعا
 أفني علي اللوم يا أم تورا ولا تخرعي بما أصاب فأوجعا
 ولا تكحي إن فرق الدهر بيسا أعم القفا والوجه ليس بأرعا^(١)
 كلبلا سوى ما كان خذ صرسة أكيد مطان العشيات أروعا^(٢)
 صروبا بنخيتيه على عظم روره إذا الناس هشوا للفعال تقعا^(٣)
 وخلي بدي أكرومية وحمية وصبر إذا ما الدهر عص فأسرعا
 وكولي حبسا أو لأروغ ما حيد إذا ضن أعشاش الرجال تبرعا^(٤)
 فسألت امرأته الناس أن يمهله قليلا ثم أتت جرارا فأخذت منه مدية فجدعت
 أنفها، ثم أتته محدوعة الأنف فقال : أهذا فعل من له في الرجال حاجة ؟ فقال :
 الآن طاب الموت .

وقال السوفي عن أبيه (الأغاني ٢١ : ٢٧٠) :

إها فعلت ذلك بحضرة مروان — والي المدينة — وقالت له :

إن هدية عدي وديعة، فأمهله حتى آتية بها قال : أسرع، فإن الناس قد
 كثروا، وكان جلس لهم بارزا عن داره، فمضت إلى السوق، فانتهدت إلى قصاب
 وقالت : أعطني شفرتك، وخذ هذين الدرهمين، وأنا أردّها عليك، ففعل، فقربت
 من حائط وأرسلت ملحمتها على وجهها، ثم جدعت أنفها من أصله، وقطعت
 شفيتها، وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت :
 يا هدية. أتراني متزوجة بعدما ترى ؟ قال : لا، الآن طابت نفسي بعد بالموت.

(١) الأروع : من انحسر شعره عن جبهه وعلاه

(٢) الكليل الضعيف العزم ما كان من خذ صرسة إلا في الأكل الأكيد المصاب في كبده أروغ جبال
 في هذا البيت من الأروع

(٣) الديان : المكان. هشوا : فرحوا بالمكارم. نفع : عطي وجهه

(٤) الأروع هنا : الماجد الكريم من الأروع أعشاش الرجال بخلاء الناس

ومر هدية بحبي — وهي امرأة اشتهرت بالحب — فقالت:
كنت أعدك من الفتيان، وقد زهدت فيك اليوم، لأنني لا أكر أن يصير الرجال
على الموت. ولكن كيف تصبر عن هذه — وأشارت إلى زوجته — فقال:
— أما والله إن حبي لها لشديد، وإن شئت لأصمن لك ذلك، ووقف الناس
معه فقال:

وجدتُها ما لم تجدُ أم واحداً ولا وجدَ حُبِّي بابن أم كلاب
رأته طویل الساعدين شمر دلاً كما تشتهي من قوة وشباب^(١)
فانقمت داخل بيتها فأعلقت الباب دونه. وفي رواية أخرى: مر بهدية على
حبي، فقالت له: في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرک وكرمک فقال هدية:
تعجب حبي من أسير مكبل صليب العصا باق على الرسفان^(٢)
فلا تعجبي مني حليمة مالك كذلك يأتي الدهر بالحدثان
ثم خرج يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه يتوقعان الشكل، فهما بسوء حال.
فأقبل عليهما وقال:

أبلياني اليوم صبراً منكما إن حُرنا منكما اليوم لشر
ما أظن الموت إلا هيناً إن بعد الموت دار المستقر
إصبرا اليوم فإني صابرٌ كُل حَيٍّ لماءٍ وقدَر
ثم قال:

أذا العرش إني عائد بك مؤمنٌ مقررٌ بزلاتي إليك فقيرٌ
وإني وإن قالوا: أميرٌ مسلطٌ وحياتُ أبوابٍ لمن صريرٌ
لأعلم أن الأمر أمرٌ إن تدن فرت، وإن تغفر فأنت غفورٌ
قالوا: وقام إليه عبدالرحمن بن زيد، وهر السيف ثم قال:

قد علمت نفسي وأنت تعلمه لأقتلن اليوم من لا أرحمه
ثم قتله.

ويقال إن الذي تولى قتل هدية المسور بن زيادة، دفع إليه عمه السيف وقال له:

(١) الشمر دلاً : الحمل
(٢) الرسفان : مشي اللقيد في قيوده

— اقتل قاتل أبيك

قالوا فاستأذن هدية في أن يصلي ركعتين، فأذن له، فصلاهما وحفف، ثم التفت إلى من حضر فقال:

لولا أن يطرأ لي الخرع لأطلتكما، فقد كنت محتاحاً إلى إطالتهما ثم أقبل على المسور بن زيادة فقال:

— أثبت قدميك، وأجد الصربة، وإني أيتمتك صغيراً، وأرملت أمك شابة
فقام زيادة فضربه صريتين قتله فيهما

هدية بعد الموت:

قال هدية لأهله قبل موته:

إني بلغني أن القتل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فإني قابض
رجلي وباسطها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قتل

وهكذا ينهي قتل هدية بن الحشرم بأسطورة بعد أن أحيط بكثير من الرحرف.

واسع بن الحشرم يرثي أخاه هدية لما قتل ويقول:

(١) يا هدتُ يا حيرَ فتيان العشيرة مَنْ يفجع بمثلِكَ في الدنيا فقد فجعاً

(٢) الله يعلمُ أني لو خشيتُهُمْ أو أوجس القلبُ من خوفِهم جرعا

(٣) لم يقتلوه ولم أُسَلِّمْ أحي لهم حتى نعيش جميعاً أو يموت معا

وهذه الأبيات تمثلها إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن

أبي طالب، — رضي الله عنه — لما بلغه قتل أخيه محمد

أم هدية كانت شاعرة:

قالت أم هدية فيه لما شحص إلى المدينة فحبس بها:

(١) أيا إحوتي أهل المدينة أكرموا أسيركم إن الأسيرَ كريمٌ

(٢) فربَّ كريمٍ قد قرأه وضافه وربُّ أمورٍ كُلُّهُنَّ عظيمٌ

(٣) غصى جُلُّها يوماً عليه فراصه من القوم عيافٌ أشمٌ حلِيمٌ

شعره :

حطبي شعر ابن الحشرم بعباية الرواة والعلماء والنجوين؛ فاستشهد النجاة بشعره

في أكثر من موضع.

جاء في الأغاني (الدار) ٢١ : ٢٧٣.

..... حدثني مصعب الزيري :

كنا بالمدينة، أهل البيوتات، إذا لم يكن عبد أحداً حر هدية وريادة وأشعاره
اردريناه، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها.

وجاء في موضع آخر من الصفحة نفسها :

كان هدية أشعر الناس منذ يوم دخل السجس إلى أن أقيد منه وقال (٢١ : ٢٥٤)
وهدية شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز

وقال المرزباني في معجم الشعراء : ص ٤٦٠

وهو شاعر معلق، كثير الأمثال في شعره

ويبدو أنه نظم كثيراً من الشعر في سجنه الطويل، بل نظم كثيراً من الشعر
وهو يساق إلى القتل، وقل أن يجد من يملك من نفسه وشجاعته لينظم كل
هذا الشعر في هذا الموقف.

ويتميز شعره في سجنه وقتله :

١ — بقوة النفس واستقبال السجن والقتل في شجاعة.

٢ — عدم التذلل والخضوع في التماس عفو سجنائه وقتلته

٣ — البوح الصادق والسجوى العميقة التي يخلو فيها إلى نفسه وإلى روجه

ذكر الأصفهاني أن شعر هدية بن الخشرم كان مما يعنى به، وقد ذكر لنا
موضعين غنى بها المغنون بشعر هدية.

١ — الجزء ٢١ : ص ٢٥٣

صوت

ألا يا لقومي للسوائب والدهر وللمرء يُردى نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد توادت عليه فوارتة بلماعة قفر^(١)
لشعر هدية بن الخشرم، والعناء لمعبد. ثقیل أول باطلاق الوتر في مجرى البصر
عن إسحاق

٢ — الجزء ٢١ : ٢٦٧

(١) توادت : قد تلاشت عليه أي ولزته وجرى : تأكست أي صارت أكمة

صوت

فلَمْ تَرَ عَيْسَى مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجَ عَلَيَا مِنْ رِقَاقِ ابْنِ وَاقِفٍ^(١)
تَصَنَّحُ بِالْحَادِي حَتَّى كَأَنَّمَا الْـ أُسُوفُ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ رَوَاعِفُ^(٢)
خَرَجَ بِأَعْيَاقِ الطَّيِّاءِ وَأَعْيَنَ الْـ جَازِرَ وَأَرْتَجَّتْ لَهُنَّ السَّوَالِفُ^(٣)
فَلَوْ أَنَّ شَيْئاً صَادَ شَيْئاً بِطَرَفِهِ لَصَدَّدَ ظَبَاءٌ مَوْفَهُنَّ الْمَطَارِفُ
(الشعر هدية) غنى فيه الغريض، رملاً بالبصر، من رواية حبش، وفيه لحن
خفيف ثقيل وذكر إسحاق أن فيه لحناً ليوس، ولم يذكر طريقته في مجرده.

قصيدته في رثاء نفسه قبل الموت

تمهيد^(٤) :

احتللت المصادر في عدد أبيات القصيدة، ومن أجمع هذه المصادر

١ - القالي في الأمالي وتقع في ١٥ بيتاً

٢ - حماسة ابن الشجري وتقع في ١٩ بيتاً

٣ - خزانة البغدادي وتقع في ٢٤ بيتاً

وقد جمع بين أبيات القالي وابن الشجري واحترنا رواية الخراة :

قال هدية بن خشرم وهو في الحبس :

(١) طربت وأنت أحياناً طروبٌ وكيف وقد تعلاك المشيبُ

(٢) يُجَدُّ النَّأْيُ دَكَرَكَ فِي فَوَادِي إِذَا دَهَلَتْ عَلَى النَّأْيِ الْقُلُوبُ

(٣) يُوْرَقِي أَكْتَابَ أَبِي عَمِيْرٍ فَعَلَسِي مِمَّنْ كَانَتْهُ كَلْبُ

(٤) فَقُلْتُ لَهُ : هَذَاكَ اللَّهُ مَهْلًا وَحَيْرُ الْقَوْلِ دَوَّ النَّبِّ الْمَصِيبُ

(٥) عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرْحٌ قَرِيبُ

(٢) في البيت أقوا.

(٣) المجادي : الزعمران

(٤) السوالم : ج سالفه، وهي جانب الحق.

(٥) لأبيات متماثلة العدد في القالي ١ ٧٢ والحماسة الشجرية ٢٢٧ والسموط ٢٤٩ والخزينة ٤ ٨٢ - ٨٣

والعيني ٢ ١٨٤ والسيوطي ٥٦ و ١٥٢ والمرزباني ٤٨٣ والعقد ٣ ١٨٢ والشجري ٢٢٤ والحماسة البصرية ٤٤

- ٤٥ - وأمالى المرتضى ٧ : ٢٢٢ ويخاطب بها ابن عمه أبا عمرو، وكان معه في السجن

(١) ويروى : وقد تعلاك بدل (وقد تعلاك) والنسي واحد.

- (٦) فَيَأْمَنُ خَائِفٌ وَيَفْكُ عَانٌ وَيَأْتِي أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
 (٧) أَلَا لَيْتَ الرِّيحَ مَسْحَرَاتٍ حَاجَتَنَا تَبَاكُرُ أَوْ تَوُوتُ
 (٨) فَتَحْرِسُ الشَّمَالَ إِذَا أَتَتْهَا وَتَحِرُّ أَهْلَهَا عَنَّا الْحَسُوبُ
 (٩) فَإِذَا قَدْ حَلَا دَارَ بِلَوَى فَتَحْطُئُ الْمَايَا أَوْ تَصِيْتُ
 (١٠) فَإِنْ بَكَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّى فَإِنْ عَدَا لِنَاطِرِهِ قَرِيبُ
 (١١) وَقَدْ عَلِمْتُ سُلَيْمِي أَرَأَيْتَ عَوْدِي عَلَى الْحَدَثَانِ دُوْ أَيْدٍ صَلَبُ
 (١٢) وَأَنْ حَلِيقَتِي كَرَمٌ وَأَنْي إِذَا أَبَدْتُ بَوَاجِدَهَا الْحُرُوبُ
 (١٣) أَعِيرَ عَلَى مَكَارِمِهَا وَأَعَشَى مَكَارِهَهَا إِذَا كَمَعَ الْهَيُوبُ
 (١٤) وَقَدْ أَبْقَى الْخَوَاطِثُ مَكَرُكَ زُكَاً صَلِيحاً مَا تَوَيْسُهُ الْخَطُوبُ
 (١٥) عَلَى أَنْ الْمِيَةَ قَدْ نَوَايَ لَوَقْتُ، وَالسَّوَابُ قَدْ تَوَبُ
 (١٦) وَأَسَى فِي الْعِطَائِمِ ذُو عَسَاءٍ وَأَذْعَى لِلْعَمَالِ فَأَسْتَجِيبُ
 (١٧) وَأَسَى لَا يَحْفُ الْعَدْرُ جَارِي وَلَا يَحْشَى عَمَوَائِي الْعَسِيرُ
 (١٨) وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ قَدْ بَانَ عَمِي رُمِيتَ بِفَقْدِهِ وَهُوَ الْحَسِيبُ
 (١٩) فَلِمَ أُنَدِ الْبَدِي تَحْمُو صِدُوعِي عَلَيْهِ، وَإِنِّي لَأَنَا الْكَنِيبُ
 (٢٠) مَخَافَةَ أَنْ يَرَانِي مُسْتَكِيحاً عَدُوٌّ أَوْ يَسَاءَ بِهِ قَرِيبُ
 (٢١) وَيَشْمَتُ كَاشِحٌ وَيَطْرُقُ أَسَى جَزُوعٌ عَدُوٌّ نَائِبَةٌ تَوَبُ
 (٢٢) فَمَعْدَكَ سَدَّتِ الْأَعْدَاءُ طَرَفَا إِلَيَّ وَرَاسِي دَهْرٌ يَرِيبُ
 (٢٣) وَأُنْكَرْتُ الرِّمَانَ وَكُلُّ أَهْلِي وَهَرَّتَنِي لَغَيْبَتُكَ الْكَلِيبُ
 (٢٤) وَكَتَّ تَقَطَّعُ الْأَبْصَارُ دُونِي وَإِنْ وَعَرْتُ مِنَ الْعِيْظِ الْقُلُوبُ



- (٦) العاني : الأسير
 (٧) التواجد : الأتياب
 (٨) تويسه : تصفحه
 (٩) مستكياً : خاضعاً
 (١٠) الكيب : جمع كلب مثل العيد جمع عيد
 (١١) الوغر : الحقد والضعف يقال : وغر صدره إذا توقد من العيظ
 (١٢) كعج : جرس وضعف، الهيوب : الخائف
 (١٣) الفوائل : العذر والإساءة
 (١٤) الكاشح : المفضي للعادي
 (١٥) الكيب : جمع كلب مثل العيد جمع عيد
 (١٦) الوغر : الحقد والضعف يقال : وغر صدره إذا توقد من العيظ

مالك بن الريب

(... - نحو ٦٠ هـ)

(.. - نحو ٦٨٠ م)

المصادر

مصادر مالك بن الربب كثيرة أهمها :

- ١ الأماشي ٣ : ١٣٥... والقصيدة تكاد تكون كاملة فيه.
- ٢ الأغاني (الدار) ٢٢ : ٢٨٥ — ٣٠١
- ٣ أنساب الأشراف ٥ : ١٢٠
- ٤ البيان والتبيين ٣ : ٣٧
- ٥ تاريخ الطبري ٦ : ١٧١
- ٦ حماسة أبي تمام (المرزوقي) : ٣٦٢ / ٨٩٢
- ٧ حماسة أبي عبادة البحرني : ٨ / ٣٩
- ٨ حماسة ابن الشجري : ٢٢ / ٥١ / ٧٣
- ٩ خزائن الأدب ١ : ٣٧٨ / ٢ : ٣٠٣ / ٣ : ١٧٦ / ٤ : ٥١٩
- ١٠ الشعر والشعراء ٣٥٤ — ٣٥٥
- ١١ العقد الفريد ٢ : ١٥٩
- ١٢ معجم البلدان (حمرن) / حمرن / الحوش ، عاف / العميم / الدحل /
سام / طاس / الرقمتان السمية ، لطيسان / العصا ، مرو /
الشبيكة / المثل / دحا المثل / بولان / خراسان...
- ١٣ معجم ما استعجم في أماكن كثيرة مشترك مع أماكن معجم البلدان
- ١٤ الأعلام ١٥ شعراء أمويون : القسم الأول.
- ١٦ أشعار اللصوص وأخبارهم ج ٢ : ٢٤٧ — ٢٩٧
- ومصادر كثيرة أخرى.

منزله :

ما أظن شاعراً بلع من المرلة ما بلعها مالك بن الربيع، وقد أسهمت قصيدته
البائية التي رثى بها نفسه إسهاماً بعيداً في شهرته...

نسبه :

مالك بن الربيع بن حوط، من قبيلة مارن ثم من بني تميم

حياته وعصره :

ذكر صاحب الأعلام في ترجمة مالك أنه توفي نحو عام ٦٠ هـ و ٦٨٠ م
ولم يذكر تاريخ ولادته، وأحسن أنه لم يتحاور حمسين سنة حين مات. فهو إدر
من شعراء بني أمية، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان على الخصوص.

سماؤه :

ذكر صاحب الأعالي أن مالكا كان من أحمل الناس وحياً وأحسنهم ثباتاً وأن
سعيد بن عثمان بن عفان أعجبه لما رآه.

لصوصيته :

كان مالك من أشهر لصوص العرب، ويحدد مالك أسباب قطعه للطريق بقوله
لسعيد بن عثمان حين سأله :

- ما يدعوك إلى ما ييلعي عنك من العيث والمساد ؟

فأجاب مالك :

- يدعوني إليه المعجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان.

في بادية بني تميم والبحرين :

بدأ مالك بن الربيع حياته في اللصوصية والفتك في بادية بني تميم، فكان يقطع

الطريق هو وأصحاب له... فساموا الناس شراً وطلبهم مروان بن الحكم وهو عامل على المدينة فهربوا، فكتب إلى الحارث بن حاطب الحمصي يطلبهم فهربوا منه... فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأحده، وأخذ صاحبه أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة، وتخلف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكا، فتعمل مالك غلام الأنصاري، وعليه السيف، فاسترعه منه وقتله به، وشد على الأنصاري فضربه بالسيف حتى قتله وجعل يقتل من كان معه يمينا وشمالاً.

ثم لحق بأبي حردبة فتخلصه وركبا إبل الأنصاري وخرجا فراراً من ذلك هاربين حتى أتيا البحرين، واجتمع أصحابهما إليهما، ثم قطعوا الطريق إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد ابن عثمان فاستصعبه.

في خراسان :

استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان^(١)، فمضى سعيد بجده في طريق فارس، فلقه مالك بن الربيع المارني، وكان من أحمل الناس وجهاً. وأحسنهم ثياباً، فلما رآه سعيد أعجبه وقال له :

— مالك ويحك، تفسد نفسك بقطع الطريق ؟ وما يدعوك إلى ما يبلعني عنك من العيث والمساد، وفيك هذا الفضل ؟ قال :

— يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان. قال سعيد : فإن أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل ؟

قال مالك : — أي والله أيها الأمير. أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه. فاستصعبه سعيد وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر.

اشتراكه في الفتوح ومرضه :

شهد مالك فتح سمرقند، وتنسك، وأقام بعد عزل سعيد، فمرض في مرو وقيل

(١) في اسم الوالي الذي عفا عن مالك واستصعبه خلاف (انظر المزياني)

بل طعن فسقط وهو بآخر رمق.

قصة القصيدة :

أحسن مالك بالموت، وهو مريض، فقال قصيدته المشهورة في رثاء نفسه .
ألا ليت شعري، هل أيتس ليلاً بوادي الغضا، أُرْجِي القلاص الواحيا
وتختلف بعد ذلك الروايات حول هذه القصيدة :

١ - الرأي الأول يرى أنها كلها له.

٢ - الرأي الثاني ويراه أبو عبيدة معمر بن المثنى حين قال :
إن الذي قاله مالك من القصيدة ثلاثة عشر بيتاً، أما سائرهما فمحول عليه.
٣ - الرأي الثالث، وهو رأي يميل إلى الأسطورة يقول : بل مات في حان فرثه
الجان لما رأت من عربته ووحدته، ووضعت الحن الصحيفة التي فيها القصيدة تحت
رأسه.

وهكذا تنتهي حياة الشاعر بأسطورة طريفة.

القصيدة .

حاء في معجم البلدان : (نو شهر) قال السكري في حار مالك بن الربيع .
فلم يزل منه (من سعيد بن عثمان) مما وعده به شيئاً، واتبع ذلك بحموة، فترك
سعيداً وقفل راجعاً، فلما كان بأبو شهر، وهي بيسانور، مرض فقيلاً له ما
تشتهي ؟ فقال :

- أشتي أن أنام بين الغضا وأسمع حنينه، أو أرى سهيلاً (نحماً) يطلع من ناحية
اليمن، وأخذ يورث نفسه :

(١) ألا ليت شعري هل أيتس ليلاً بحب الغضا، أُرْجِي القلاص الواحيا
(٢) فليت الغضا لم يقطع الركب عرصه وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

(١) الغضا : شجر يبيت في الرمل، أُرْجِي : أسوق، القلاص الواحيا : النوى السريعة

(٢) ليت الغضا طال فلم يقطع الركب، أو به مشى مع

- (٣) وليت الغضا يوم ارتحلنا تقاصرت
(٤) لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا
(٥) ألم ترني بعث الضلالة بالهدى
(٦) وأصحت في أرض الأعادي بعدما
(٧) دعاني الهوى من أهل أود وصحبتني
(٨) أجبت الهوى لما دعاني بزفرة
(٩) أقول — وقد حالت قري الكرد يسا .
(١٠) إن الله يرجعني من الغزو لا أرى
(١١) تقول ابنتي لما رأته وشك رحلتني :
(١٢) لعمرى لئن عالت خراسان هاتني
(١٣) فإن أبع من باتني خراسان لا أعذ
(١٤) فليله دري حين أترك طائعا
(١٥) وذُرَّ الظباء السانحات عشية
(١٦) وذُرَّ كسيري النديس كلاهما
(١٧) وذُرَّ الرجال الشاهدين تفتكي
(١٨) وذُرَّ الهوى من حيث يدعو صحابي
(١٩) تذكرت من يبكي علي فلم أجذ
(٢٠) وأشقر محبوك يجر لجامه
(٢١) يُقاد ذليلاً بعد ما مات ربه
(٢٢) ولكن بأكناف السمينه نسوة
(٢٣) صريع على أيدي الرجال بقفرة
- بطول الغضا حتى أرى من ورائي
مزار ولكن الغضا ليس دايماً
وأصحت في جيش أبي عماد عاريه
أرائي عن أرض الأعادي نائيه
بذي الطيسين فالتفت ورائيه
تفتت منها — أن ألام — ردائي
جرتي الله عمراً خير ما كان جازيه
— وإن قل مالي — طالباً ما ورائي
سفارك هذا تاركني لا أباليه
لقد كنت عن باتني خراسان نائب
إليها وإن ميثموني الأمانيه
بني بأعلى الرقمتين وماليه
يخبرن أني هالك من ورائيه
علي شفيق ناصع لو نهانيه
بأمري ألا يقصروا من وثاقيها
وذُرَّ لجاحاتي وذُرَّ انتهائيها
سوى السيف والرمح الرديني باكيه
إلى الماء لم يترك له الموت ساقيه
يباع يخسر بعد ما كان غاليا
عزيز عليهن العشيه ما بيها
يسوون لحدي حيث حُم قضائيه

(٥) بعد ما كنت فيه من الفتك والصلال صرت في جيش سعيد بن عثمان

ملاحظة : أكثر تفسير الآيات من كتاب الأمالي لعل بن القائل ٣ : ١٣٥ ..

(٧) أود — بضم الحرة — قال البكري : موضع ببلاد مازن والطيسان كورتان بخراسان يقول : دعاني الهوى وتشوني في هذا المكان إلى أصحابي في مكان آخر بعيد.

(٨) لما ذكرت ذلك الوضع بكيت فاستحييت فصمت بردائي لكي لا يرى أصحابي بكائي

(١٢) غالت خراسان هاتني : أهلكني.

(٣) السمينه : موضع قريب من أود المذكور (٢٣) حم : حل ودنا

- (٢٤) ولما تراءت عند مَرَوْ مَيْتِي
 (٢٥) أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْفَعُونِي فَإِنَّهُ
 (٢٦) بَا صَاحِبِي رَحَلِي دَنَا الْمَوْتُ فَانْزِلَا
 (٢٧) أَقِيمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ
 (٢٨) وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلِّ رُوحِي فَهَيْثَا
 (٢٩) وَنُحْطَا بِأَطْرَافِ الْأَسِيَّةِ مَضْجَعِي
 (٣٠) وَلَا تُحْسِدَانِي — بَارِكْ اللَّهُ فِيكُمَا —
 (٣١) خُذَانِي فَجَرَّانِي بِثَوْبِي إِلَيْكُمَا
 (٣٢) وَقَدْ كُنْتُ عَطْفًا إِذَا الْخَيْلُ أَدْبَرَتْ
 (٣٣) وَقَدْ كُنْتُ صَبَارًا عَلَى الْقَرْنِ فِي الْوَعْيِ
 (٣٤) وَقَدْ كُنْتُ عَمُودًا عَلَى الرَّادِّ وَالْقَرَى
 (٣٥) فَطَوَّرَا ثَرَانِي فِي ظِلَالٍ وَنِعْمَةٍ
 (٣٦) وَيَوْمًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ
 (٣٧) وَقُومَا عَلَى بَثْرِ السُّمِيَّةِ أَسْبَعَا
 (٣٨) بِأَنْكُمَا خَلَقْتُمَانِي بِمَقْصَرَةٍ
 (٣٩) وَلَا تُنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي بَعْدَمَا
 (٤٠) وَلَنْ يَعْذَرَ الْوَالُونَ بَثًّا بِصِيْهِمْ
 (٤١) يَقُولُونَ : لَا تُبْعُدْ، وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي
 (٤٢) غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفِ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
 (٤٣) وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
 (٤٤) فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتِ الرَّحَا
- وَحُلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيهَا
 يَقَرُّ بَعِينِي أَنْ سَهِيلٌ بَدَا لِيَا
 بِرَايِيَّةٍ، إِلَى مَقْبِسَمَ لِيَا لِيَا
 وَلَا تُعْجِلَانِي، قَدْ تَيَسَّنَ شَانِيَا
 لِي السُّدَرُ وَالْأَكْفَانُ عِنْدَ فَنَائِيَا
 وَرَدًّا عَلَى عَيْنِي فَضْلُ رَدَائِيَا
 مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تَوَسِّعَالِيَا
 فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
 سَرِيعًا لَدَى الْهَبِجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
 ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَضْبًا لِسَانِيَا
 وَعَنْ شَتْمِي ابْنَ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَانِيَا
 وَطَوَّرًا ثَرَانِي، وَالْعَتَاقُ رِكَابِيَا
 تُخَرِّقُ أَطْرَافَ الرَّمَاحِ ثِيَابِيَا
 بِهَا الْغُرُ وَالْبَيْضَ الْحَسَانَ الرُّوَانِيَا
 نَمِيلُ عَلَى الرِّيحِ فِيهَا السَّوَاهِيَا
 نَقْطَعُ أَوْصَالِي وَثِيلِي عِظَامِيَا
 وَلَنْ يَعْذَرَ الْمِيرَاثُ مَنِي الْمَوَالِيَا
 وَأَيْنَ مَكَانُ الْبَعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا ؟
 إِذَا أَذْلَجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا
 لِغَيْرِي، وَكَانَ الْمَالُ بِالْأُمْسِ مَالِيَا
 رَحَا الْمَثَلِ أَوْ أُمْسَتْ بِفُلْجٍ كَمَا هِيَا

(٢٤) مَرَوْ : مدينة بخراسان — حُل : ضجف

(٢٥) يَرِيدُ أَنْ سَهِيلًا — وَهُوَ جَمْعُ يَمِينٍ فِي الْيَمِينِ — لَا يَرَى بَخْرَسَانَ حَارِصًا عَلَى أَرَاهِ حَصْرِ عَيْبِي بِرُؤْيَا بِلَادِي

(٢٦) أَكْرَمَ عَلَى أَعْدَائِي فِي الْحَرْبِ إِذَا تَدِيرُ الْفَرَسَانَ.

(٣٤) وَانِيَا : مَقْصَرًا

(٣٦) الرَّحَى الْمُسْتَدِيرَةُ : مِيدَانُ الْمَعْرَكَةِ (٤٠) نَصِيبُ أَصْدِقَائِي الْخُرُونِ عَلَى وَصِيبِ أَمْرِي وَرَاثَةِ مَالِي

(٤٢) أَذْلَجُوا : سَارُوا لَيْلًا (٤٤) الْمَثَلُ : بَصْمُ الْيَمِّ وَسُكُونُ ثَاءٍ : مَوْضِعُ بَطْلَجٍ — فَج : مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ بَنِي مَازُونِ.

- (٤٥) إذا الحَيُّ حَلَّوْهَا جَمِيعاً وَأَنْزَلُوا
 (٤٦) رَعَيْنَ، وَقَدْ كَاذَ الظَّلَامُ يُجَنُّهَا
 (٤٧) وَهَلْ أَتَرَكَ الْعَيْسَ الْعَوَالِي بِالضُّحَى
 (٤٨) إِذَا عَصَبُ الرِّكْبَانِ بَيْنَ عُنَيْزَةٍ
 (٤٩) فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ ؟
 (٥٠) إِذَا مَتَّ فَاعْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَّمِي
 (٥١) عَلَى جَدَّتٍ قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ
 (٥٢) رَهِينَةُ أَحْجَارٍ وَتُرْبٍ تَصَمَّتْ
 (٥٣) فَيَا صَاحِبِي، إِمَّا عَرَضَتْ قَبْلَعُنْ
 (٥٤) وَعَرَّ قُلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّهَا
 (٥٥) وَأَبْصَرْتُ نَارَ الْمَازِنِيَّاتِ مَوْهِنَا
 (٥٦) بَعُودِ النُّجُوجِ أَضَاءَ وَقُودُهَا
 (٥٧) غَرِيبٌ بُعِيدَ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْرَةٍ
 (٥٨) تَحْمَلُ أَصْحَابِي عِشَاءً وَغَادَرُوا
 (٥٩) أَقْلَبُ طَرَفِي حَوْلَ رَحْلِي فَلَا أَرَى
 (٦٠) وَبِالرَّمْلِ مَنَا نِسْوَةً لَوْ شَهِدْتَنِي
 (٦١) وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ عِنْدِي وَأَهْلِهِ
 (٦٢) فَمِنْهُمْ أُمِّي وَابْنَتَايَ وَخَالَتِي
- مَهَا تَقْرَأُ حُصَمَ الْعَيْوِي سَوَاجِيَا
 يَسْفُرُ الْخُرَامِي مَرَّةً وَالْأَفَاحِيَا
 بِرَكَابِيهَا تَعْلُو الْيَمَانُ الْعِيَا
 وَبُولَانٍ عَاجُوا الْمَبْقِيَاتِ النَّوَاجِيَا
 كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعْيُكَ يَا كِيَا
 عَلَى الرَّمْسِ أُسْقِيَتِ السَّحَابُ الْغَوَادِيَا
 تَرَاباً كَسَخَقِ الْمَرْبُوبَانِي هَايَا
 قَرَارُثُهَا مِنِّي الْعِطَامُ الْبَوَالِيَا
 بَنِي مَازِنٍ وَالرَّيْبُ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
 سَتَلِقُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَا
 بَعْلِيَاءَ يُشَى دُوبَهَا الطَّرْفُ رَايَا
 مَهَا فِي ظِلَالِ السَّدْرِ حُوراً جَوَازِيَا
 يَدُ الدَّهْرِ مَعْرُوفاً بِأَنْ لَا تَدَانِيَا
 أَخَاتِقِي فِي عَمْرُصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا
 بِهِ مِنْ عَيْوِي الْمَوْنَسَاتِ مُرَاعِيَا
 يَكِيرُ وَقَدَّيْنِ الطَّيِّبِ الْمَدَاوِيَا
 دَمِيماً وَلَا وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا
 وَبَاكِةً أُخْرَى تَهِيجُ الْبَوَاكِيَا



- (٤٦) الخزامى : زهرة أطيب الأزهار نفحة — (٤٧) العيس : العوالي : العالية — الثان : ج من ما صلب من الأرض.
 (٤٨) عنبرة : قارة سوداء — المقيات : التي تبقى سيرها — النواحي : التي تنجر أي تسرع في سيرها
 (٥١) المرباني : كساء من عز ويقال : مطرف من وير الابل — هايا : من هيا يهوا أي تار
 (٥٢) رهينة أحجار أي في القبر، على التراب والخسارة (٥٦) النجوج : شعر طيب الرائحة — مها : عزلان — جوازي : رانيات.
 (٥٧) يد الدهر : مدى الدهر (٦١) قاليا : كلها
 (٦٢) باكية أخرى تهيج البواكيا : يرهه روجه.

مُرَّة بن عحكان

(..... - ٧٠ هـ)

(... - ٦٩٠ م)

مصادره

- ١ — الأغاني (الدار) ٢٢ : ٣٢٠ — ٣٢٥
- ٢ — معجم الشعراء ٢٩٥/٢٩٦/٣٨٢
- ٣ — معجم مقاييس اللغة ٣ : ٩٢
- ٤ — الحماسة شرح المرزوقي ١٥٩٢
- ٥ — الشعر والشعراء ٦٦٧
- ٦ — الحيوان ٢ : ٣٥٢
- ٧ — الكامل ١ : ١٣٦
- ٨ — خزانة الأدب ٢ : ١٧٣
- ٩ — حماسة البحتري ٢٣٨
- ١٠ — مجموعة المعاني ١٩٠
- ١١ — أمالي المرتضى ١ : ٩٥
- ١٢ — عيون الأخبار ٣ : ٢٦٣
- ١٣ — الطبري ٦ : ١٥٢ — ١٥٦
- ١٤ — أشعار اللصوص وأخبارهم ١ : ١١٩

نسبه

هو مرة بن محكان — قال أبوالمرح — ولم يقع لنا باقي نسبه — أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

أخباره

كان مرة بن محكان شريفاً جواداً، وهو أحد من حبس في الماحرة والاطعام قال أبوالفرج نقلاً عن المدائني.

كان مرة بن محكان سخياً، وكان أبوالكراء يوائمه في الشرف، وهما جميعاً من بني الرثيع، فأنهب مرة بن محكان ماله الناس فحبسه عبيدالله بن زياد. فقال في ذلك الأبيرد الرياحي:

حبست كريماً أن يجود بماله سعى في ثأى من قومه متفاقم^(١)
كأن دماء القوم إذ علقوا به على مكهر من ثايبا المحارم^(٢)
فإن أنت عاقت ابن محكان في الديو فعاقب — هداك الله — أعظم حاتم
قال : فأطلقه عبيدالله بن زياد، فذبح أبوالبكراء مائة شاة فنحر مرة بن محكان مثلها

هل كان مرة بن محكان لصاً ؟

أكثر القدماء لا يدكرون مرة بن محكان في اللصوص، وقد انفرد بنسبته إليهم المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٩٥ — ٢٩٦ حين قال
(مرة بن محكان من بني عبيد أحد اللصوص ...)

وفي مجموعة المعاني ص ١٩٠ ورد بيتان لمرة بن محكان من قصيدته اليائية ضمن أشعار اللصوص دون نسبة.

وفي هامش كتاب شرح الحماسة للمرزوقي يستغرب المحققان : أحمد أمين وعبدالسلام هارون ما قاله المرزباني منه فقالا:

(١) الثأى : الاختلال والفساد والنقص

(٢) المحارم : ج محرم، وهو أنف الخيل.

(ومن عجب أن يقول المررباني، إنه أحد اللصوص، وقال قتيبة : كان مرة سيد بني ربيع.)

شعره

قال صاحب الأغاني يذكر مرة :

شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما في الشعر.

وقصيدة مرة في الأصباغ التي مطلعها :

أَقُولُ وَالضَّيْفُ مَخْشِيُّ ذِمَامَتِهِ عَلَى الْكَرِيمِ، وَحَقُّ الضَّيْفِ قَدْ وَجِبَا
يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّيْ إِلَيْكَ رَحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا
هذه القصيدة — التي يحاطب بها امرأته — من عيون الشعر العربي

الغناء بشعر مرة :

ذكر أبو الفرج في الأغاني أن شعر مرة كان يغنى به، ولا سيما بقصيدته البائية، وقد اشترك في الغناء بها ابن سريج ومعبد والعريض وأبو العيس وعرفان المغيرة قال الراوي فاندفعت عرفان فغنت:

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاعِرَةٍ ضُمِّيْ إِلَيْكَ رَحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا
قال : فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعته من عنائها يومئذ.

مقتله

كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فحاصم إليه رجل من بني تميم — يقال له : مرة بن محكان — رجلاً فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مرة بن محكان يقول :

أَحَارَ ثَلَّثْتُ فِي الْقَضَاءِ فَإِنَّهُ إِذَا مَا إِمَامٌ جَارَ فِي الْحُكْمِ أَقْصَدَا
وَإِنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحُكْمِ فَاحْتَفِظْ وَمَهْمَا تَصْنَعُ الْيَوْمَ تَدْرِكُ بِهِ غَدَا
فإِنِّي مِمَّا أَدْرِكُ الْأَمْرَ بِالْأَيِّ وَأَقْطَعُ فِي رَأْسِ الْأَمِيرِ الْمُهْئَدَا^(١)

(١) الأي : الحلم والأنه.

فلما ولي مصعب بن الزبير دعاه فأشده الأبيات فقال :
أما والله لأقطع السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر به فحبس
ثم دس إليه من قتله

ويريد الطبري (٦ : ١٥٢ - ١٥٦) الخبر تفصيلاً فيذكر قاتل مرة قال :
وبعث مصعب بن الزبير، حداث بن يزيد الأسدي في طلب من هرب من
أصحاب حاند (بن عبدالله بن خالد بن أسيد) فأدرك مرة بن محكان، فأحذه
فقال مرة (الأبيات ...) فقر به حداث فقتله، وكان حداث على شرطة مصعب
يومئذ وأضاف ابن قتيبة خيراً آخر فقال :
ولا عقب له .

أقول: وهذا شاعر كلفه بيت من الشعر حياته .

مقطوعة مرة بن محكان قبل قتله

قال مرة، وقد أمر مصعب بن الزبير رجلاً من بني أسد بن حزيمة بقتله .
(١) بني أسد إن تقتلوني تُحاربوا نميماً إذا الحربُ العوان اشتمعتِ
(٢) بني أسد هل فيكم من هوادة فتعصون، إن كاث بي السعل رلت
(٣) فلا يحسب الأعداء إذ غث عنهم وأوريت معناً أن حربي كلفت
(٤) نمشي حداث في الأسكية آمنة وقد نهلت مي الرماح وغسلت
(٥) ولست - وإن كاث إلي حية - بياك على الدنيا إذا ما ثولت



(١) العوان الحروب التي هرب فيها مرة واحده على ورد أصحاب اشتمعت نوب فأسرعت
(٢) أوريت لعبها بمعنى حبت من واري يورى ببني سجهون مع منه سخن مصعب
(٣) نمشي حداث في الطرقات آمنة، وأنا في السجن أسير مفيد محذب
(٤) هذا التركيب في التقديم والتأخير من أروع ما عرفت في الشعر العربي

جعفر بن عُلبَة

(... - ١٢٥ هـ)

(... - ٧٤٣ م)

المصادر

- ١ الأعرابي : (الدار) ١٣ : ٤٤ — ٥٦
- ٢ عيون الأخبار ١ : ١٩٣
- ٣ حماسة أبي تمام (المرزوقي) ٣٥٦ — ٣٥٧
- ٤ الحماسة البصرية ١ : ٤٦ / ٢ : ١٢٥
- ٥ الوحشيات : ٢٣
- ٦ خزانة الأدب : ٤ : ٣١٩ — ٣٢٣
- ٧ معاهد النصيب : ٤٣
- ٨ معجم البلدان : (قرى)

المصادر الحديثة

- ١ الأعلام:
- ٢ أشعار اللصوص وأخبارهم الترجمة رقم ٤١

نسبه :

جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث الشاعر، أسير يوم الكلاب، بن صلاة وقد مرت ترجمته وقصيدته في أول هذا الكتاب.

قبيلته

بنو الحارث

عصره :

من محضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وحاء في الأعلام سنة وفاته (... - ١٢٥ هـ) ؟ و (... - ٧٤٣ م) ؟

أبوه وأمه :

علبة بن ربيعة، وكان شاعراً أيضاً، وكذلك كانت أمه ورثى علبة ابنه جعفر بن علبة، كما حرصت أمه أباه على نجاته.

جده :

عبد يغوث، وقد مر بنا أنه رثى نفسه قبل قتله بقصيدته المشهورة .
ألا لا تلوماني كفى اللوم ما ييا فما لكما في اللوم خير ولا ليا
(راجع ترجمته)

أسرته :

كان متزوجاً وله ولد يكى به وهو عارم، وقد ذكره في شعره .

أخباره

كان جعفر بن علبة يشرب الخمر، وقد شرب مرة فأسكر فأحذه السلطان فحبسه، فأنشد يقول في حبسه :

لقد رَعَمُوا أَيْ سَكَرْتُ وَرُبَّمَا يَكُونُ الْفَتَى سَكْرَانٌ وَهُوَ حَلِيمٌ

ثم حبس معه رجل من قومه سي الحارث في ذلك الحبس، وكان يقال له
(دوران) فقال جعفر :

- ١ إذا بَابُ دورانٍ تَرْتَمُ في الدُّجَى وشُدَّ بأَغْلَاقِ عِلِيسَا وأَقْفَالِ
- ٢ وأَظْلَمَ لَيْلٌ قَامَ عِلْجٌ بِجُلْجُلٍ يَدُورُ بِهِ حَتَّى الصُّبْحِ بِإِعْمَالِ
- ٣ وَحُرَاسٍ سَوَّءٍ مَا يَأْمُونُ حَوْلَهُ فَكَيْفَ لِمُطْلَمٍ بِحَيَاةٍ مُحْتَالِ
- ٤ وَيَصْرُ فِيهِ دَو الشُّحَاعَةِ وَالنَّدَى عَلَى الدَّلِّ لِلْمَأْمُورِ وَالْعِلْجِ وَالْوَالِي

النراع بين جعفر بن عتبة وبني عَقِيل :

ذكر أبو الفرج الأصبهاني في الأعالي ثلاث روايات فيها اختلاف أدت إلى النزاع
بين جعفر وبني عقيل ثم إلى قتله.

الرواية الأولى : وهي رواية أبي عمرو الشيباني :

خرج جعفر بن عتبة وعلي بن جعدب الحارثي القناني والبصر بن مضارب
العاوي فأغاروا على بني عقيل، وأن بني عقيل خرجوا في طلبهم واقتربوا عليهم
في الطريق، ووضعوا عليهم الأرصاد على المضائق، فكانوا كلما أفلتوا من عصاة
لقيتهم أخرى حتى انتهوا إلى بلاد بني همد، فرجعت عنهم بنو عقيل، وقد كانوا
قتلوا فيهم

الرواية الثانية : وهي رواية ابن الكسي :

وذكر أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن عتبة وبني عقيل أن إياس بن
يريد الحارثي، وإسماعيل بن أحمر العقيلي اجتمعا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثي،
وهي في إبل لمولاهما، في موضع يقال له : صمعر من بلاد بلحارث، فتحدثا
عندها فعالت إلى العقيلي، فدخلتهما مؤاسفة حتى تحانقا بالعمائم، فانقطعت عمامة
الحارثي، وحققه العقيلي حتى صرعه؛ ... ثم تفرقا، وجاء العقيليون إلى الحارثيين
فحكموهم فوهبوا لهم...

ثم بلعهم بيت قيل وهو :

أَلَمْ تَسْأَلِ الْعَبْدَ الرَّيَادِيَّ مَا رَأَى بِصَغَمَرَ وَالْعَبْدَ الرَّيَادِيَّ قَائِمٌ
فَغَضِبَ إِيَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَلَقِيَ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ النَّصْرُ بْنُ مِصَارِبَ ذَلِكَ الْعَقِيلِيَّ،
وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ فَشَجَّهَ شَحْتِينَ، وَخَفَّهَ، فَصَارَ الْحَارِثِيُّونَ إِلَى الْعَقِيلِيِّينَ
مُحْكَمُوهُمْ فَوَهَبُوا لَهُمْ. ثُمَّ لَقِيَ الْعَقِيلِيُّونَ جَعْفَرَ بْنَ عَلْبَةَ الْحَارِثِيَّ، فَأَخَذُوهُ فَصَرَبُوهُ
وَحَقَّقُوهُ وَقَادُوهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَطْلَقُوهُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ إِيَّاسُ بْنُ يَرِيدَ فَقَالَ يَتَوَجَّعُ الْجَعْفَرُ :
أَبَا عَارِمٍ كَيْفَ اغْتَرَرْتُ وَلَمْ تُكُنْ تُعَرِّ، إِذَا مَا كَانَ أَمْرٌ تُحَادِرُهُ
فَلَا صَلُحَ حَتَّى يَحْفَقَ السِّيفُ خَفَقَةً بِكَفِّ فَتَى جَرَّتْ عَلَيْهِ جَرَائِرُهُ
ثُمَّ إِنْ جَعْفَرَ بْنَ عَلْبَةَ تَعْمَهُ، وَمَعَهُ ابْنُ أُخِيهِ جَعْدَبُ وَالنَّصْرُ بْنُ مِصَارِبَ
وَإِيَّاسُ بْنُ يَرِيدَ، فَلَقُوا الْمُهْدِيَّ بْنَ عَاصِمٍ وَكَعْبَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِحَيْرٍ — وَهُوَ مَوْضِعٌ
بِالْقَاعَةِ — فَصَرَبُوهُمَا صَرْبًا مَرَحًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ، فَوَجَدُوا الْعَقِيلِيِّينَ،
وَهُمْ تِسْعَةٌ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى خَلَّى لَهُمُ الْعَقِيلِيُّونَ الطَّرِيقَ، ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى
وَجَدُوا مِنْ عَقِيلٍ جَمْعًا آخَرَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ جَعْفَرُ بْنُ عَلْبَةَ رَجُلًا
مِنْ عَقِيلٍ يُقَالُ لَهُ : حُشَيْيَّةٌ، فَاسْتَعْدَى الْعَقِيلِيُّونَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ الْمَخْرُومِيَّ، عَامِلَ
مَكَّةَ، فَرَفَعَ الْحَارِثِيِّينَ الْأَرْبَعَةَ مِنْ نَجْرَانَ حَتَّى حَسَبَهُمْ بِمَكَّةَ، ثُمَّ أَقْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ
مُحَرَّحٌ هَارِبًا فَأَحْضَرَتْ عَقِيلٌ قِسَامَةً^(١) حَلَمُوا أَنَّ جَعْفَرَ قَتَلَ صَاحِبَهُمْ فَأَقَادَهُ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ . . .

الرواية الثالثة

قال أبو الفرج :

وسُخِّتَ أَيْضًا خَبْرُهُ مِنْ كِتَابِ النَّضْرِ بْنِ حَدِيدٍ فَحَالَفَ هَاتَيْنِ الرَّوَايَتَيْنِ وَقَالَ
فِيهِ :

كَانَ جَعْفَرُ بْنُ عَلْبَةَ يَزُورُ نِسَاءً مِنْ عَقِيلٍ بْنِ كَعْبٍ، وَكَانُوا مُتَحَاوِرِينَ هُمْ
وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، فَأَخَذَتْهُ عَقِيلٌ، فَكَشَفُوا دِيرَ قَمِيصِهِ، وَرَبَطُوهُ إِلَى جَمْعَتِهِ،
وَصَرَبُوهُ بِالسِّيَاطِ، وَكَثَّفُوهُ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ وَأَدْبَرُوا عَلَى النِّسْوَةِ اللَّاتِي كَانَ يَتَحَدَّثُ

(١) شهود مخلعون

إليهم، على تلك الحال ليعبطوه ويفضحوه عندهن فقال لهم :

— يا قوم لا تفعلوا، فإن هذا الفعل مثله، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً ولا أجهأ. فلم يقبلوا منه فقال لهم :

— فإن لم تفعلوا ذلك، فحسبكم ما قد مضى، ومنوا علي بالكف عني، فإنني أعدكم نعمة لكم ويداً لا أكفرها أبداً أو فاقتلوني وأريحوني، فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه.

فلم يفعلوا وجعلوا يكشمون عورته بين أيدي النساء ويضربونه ويغرون به سمهاءهم، حتى شفوا أنفسهم منه، ثم خلوا سبيله .

فلم تمض أيام قليلة حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له، فدفع راحته حتى أولحها البيوت، ثم مضى فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباؤه، وكانت عقيل أقضى خلق الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيليون معترفون ليس مع أحد منهم عصا ولا سلاح، فوثب عليهم جعفر بن عتبة وصاحباؤه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر واقتربوا، فاستعدت عليهم عقيل السري ابن عبد الله الهاشمي، عامل المنصور على مكة، فأحضرهم وحبسهم، فأقاد من الجراح ودافع عن جعفر بن عتبة — وكان يحب أن يدرأ عنه الحد الخوولة أبي العباس السفاح في بني الحارث — إلى أن أقاموا عليه قسامة أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج إلى أبي جعفر (المصور) والتظلم إليه فحيثما دعا بجعفر فأقاد منه، وأفلت علي بن جعذب من السجن فهرب. قال : وهو ابن أخي جعفر بن عتبة.

رأيي في الروايات الثلاث

توقعنا الروايات الثلاث في إشكالات عديدة :

١ — إذا صححت الرواية الثانية وأن قتل جعفر كان في ولاية إبراهيم بن هشام المخرومي بمعنى ذلك أنه كان شاعراً أموياً وليس من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية.

فقد كان إبراهيم بن هشام عاملاً مد عام ١٠٦ — إلى عام ١٢١، وقتل عام ١٢٥ هـ (انظر الطبري في أخبار سنوات ١٠٦ — ١٢٥ هـ.)

٢ - إذا صحت الرواية الثالثة، وكان قتل جعفر في ولاية السري بن عبدالله الهاشمي، وقد كان والياً على مكة عام ١٤٣ (انظر الطبري أحبار سنة ١٤٣ هـ) فمعنى ذلك أنه كان من مختصري الدولتين، وذلك ما تنص عليه أكثر المصادر.

٣ - ولذلك فبحسب تميل إلى الرواية الثالثة وأن قتل جعفر كان في الدولة العباسية في ولاية السري بن عبدالله الهاشمي على مكة .

٤ - وهكذا يتبين لنا أن تحديد قتل جعفر بن عتبة عام ١٢٥ هـ - كما ورد في أعلام الزركلي - غير دقيق .

٥ - يتبين لنا من الرواية الأولى أن جعفر بن عتبة هو الذي بدأ بالعدوان على بني عقيل بعارته عليهم ولكن يبدو من الروايتين الثانية والثالثة أن بني عقيل هم الذين اعتدوا عليه وضربوه ومثلوا به .

القسامة على جعفر كانت كاذبة :

عندما قال جعفر :

ولم أترك لي رية غير أسي وددتُ مُعاداً كانَ فيمنُ أتانيَا
أراد : وددت أن معاداً كان أتاني معهم فأقتله :

فقال معاد يحببها بعد قتله ويحاطب أباه ويعرض أنه قتل ظلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل. ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه :

أباً جعفر سَلَبَ بجِرَانٍ واخْتَسَبَ أباً عارمٍ والمُسْتَمَاتِ العواليَا^(١)

(الأبيات وأنظر الترجمة ٤١ من أشعار اللصوص وأحبارهم)

ويتبين من أبيات معاد أن جعفر بن عتبة قتل مظلوماً

(١) سلب : لبس ثياب الخناد السود. أي عظم : كبرته جعفر بن عتبة

جعفر يستقبل الموت استقبال الأبطال :

لما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه

— أسقيك شربة من ماء بارد ؟

فقال له :

اسكت لا أم لك. إني إذن لمهياف^(١)

وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه فقال له رجل : أما يشعلك عن هذا ما أنت فيه

فقال :

أشدُّ قال نعلي أن يراني غدوي للحوادث مُستكيناً^(٢)

وكان الذي ضرب عنق جعفر بن عتبة نحية بن كليب، أخو المجنون، وهو

أحد بني عامر بن عقيل فقال في ذلك :

١ شفى النفس ما قال ابنُ عتبة جعفرَ وقولي له: اصبر، ليس يمعك الصبرُ

٢ هوى رأسه من حيث كان كما هوى عُقابٌ تدلَّى طالماً جانبَ الوكر^(٣)

٣ أبا عامرَ فبنا عُرَامَ وشدةً وبسطةً إيمانٍ سواعدُها شُفْرُ

٤ هُمُ ضَرَبُوا بالسيفِ هامةَ جعفرِ ولم يُجَنِّه بَرٌّ عريضٌ ولا بحرُ

٥ وقُدْنَاهُ قودَ البكرِ قسراً وغنوةً إلى القبرِ حتَّى ضمَّ أثوابه القبرُ

(وفي هذه الأبيات من الشماتة بالقتيل ما فيها).

عتبة يرثي ابنه :

قال عتبة في رثاء ابنه جعفر :

١ لعمرك إني يومُ أسَلَمْتُ جعفرأ وأصحابه للموتِ لَمَّا أقاتل

٢ كمجتلبي حُبِّ المنايا، وإنمأ يبيعُ المنايا كلُّ حقٍّ وباطل

٣ فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم مُغلَّاةٌ أيديهم في السلاسل

(١) مهياف : الذي لا يصير على العطش.

(٢) قال النحل : (بكر القاع) شسع النعل.

(٣) في البيت إقواء.

٤ وَرُبَّ أَخْرَجَ لِي غَابَ لَوْ كَانَ شَاهِدًا رَأَى التَّبَالِيُونَ لِي عَيْرَ خَاذِلٍ (١)
وَأُمُّ جَعْفَرٍ تَلُومُ أَبَاهُ عَلَى خِذْلَاتِهِ :
قَالَ عَلِيَّةُ لِامْرَأَتِهِ أُمُّ جَعْفَرٍ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَ جَعْفَرًا :

١ لَعَمْرُكَ إِنَّ اللَّيْلَ يَا أُمَّ جَعْفَرٍ عَلَيَّ - وَإِنْ عَلَّيْتَنِي - لَطَوِيلُ
٢ أَحَازِرُ أَخْبَارًا مِنَ الْقَوْمِ قَدْ دَنَتْ وَرَجْعَةُ أَنْفَاصٍ لَهْرٌ ذَلِيلُ

امرأة تكفن جعفر بن عليّة

ذكر شداد بن إبراهيم أن بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيدالله الحارثي، حشرت
الموسم ذلك العام لما قتل جعفر، فكفته واستجادت له الكفر وبكته وجميع من
كان معها من جواريتها وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله :
أحفاً عباد الله أن لست رائيماً صحارتي نحد والرياح الذواريا
فأجابته فقالت :

١ أبا جعفر أسلمت للقوم جعفرأ فمئت كمدأ أو عش، وأنت ذليل
مأتم جعفر لا مثيل له في العرب :

لما قتل جعفر بن عليّة قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه إلى كل باقة
وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال :
- ابكين معنا على جعفر

فما زالت البوق ترغو، والنساء تشعرو، والنساء يصحن ويبكين، وهو يبكي معهن،
فما رئي يوم كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذ :

ديوان جعفر

يبدو أن ديوان جعفر كان مجموعاً، وأن هذا الديوان صنعه ثلاثة من العلماء
والأدباء هم :

(١) التباليون أمل بالة في اليمن

١ — أبو عمرو الشيباني

٢ — والنضر بن الحديد

٣ — وابن الأعرابي.

كما يستدل من الأغاني (الدار : ١١ : ١٤٣ : ١٤٦ — ولكن هذه الدواوين الثلاثة لشعر جعفر ضاعت كلها فيما ضاع من تراثنا العربي.

العناء بشعر جعفر

ورد في الأغاني صوت يعنى به من شعر جعفر وهو قوله :
عجبتُ لمراها وأني تخلصتُ إليّ وياثُ السحر بالقفل مغلُقُ
ألمتُ فحيثُ ثم قامتُ فودعتُ فتمّا نزلتُ كادت النفسُ ترهقُ
وقال : الشعر لجعفر بن عتبة، والعناء لمعد ثقيف أول بالسبابة ...

قصيدتا جعفر بن عتبة وهو في سجنه قبل قتله

لجعفر بن عتبة قصيدتان نظمهما في سجنه قبل قتله .

١ — قصيدة قافية مشهورة يذكر فيها ريادة حبيته له قبل قتله، وأنها لم تكذب
تسلم حتى ودعته، ويذكر شجاعته في استقبال الموت، وأن حبها هو الذي يرهقه
وهو سجين، كما كان يرهقه وهو طليق.

٢ — وقصيدة ثانية يائية نظمها قبل القصيدة القافية يفتخر فيها بشجاعته وانتصاره
على بني عقيل وقتله لهم، ثم يذكر حبه لدياره ورمالها ورياحها، وشوقه إلى
نساء قبيلته من بني عامر ويطلب منهم الكاء عليه، وألا لقاء بعد اليوم، ويطلب
تعطيل ناقته لتبكي عليه وتبكي الباكين وتضحك الشامتين، ثم يوصي أهله بأنه
عامر ليكون مثله شجاعاً ويسد مكانه .

القصيدة الأولى

قال جعفر بن عتبة، قبل أن يقتل، وهو محبوس^(١) :

- (١) هَوَايَ مَعَ الرِّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعَدٌ جَنِيْتُ، وَجُثْمَانِي عَمَكَةً مُوْتَلِقُ
(٢) عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتِي تَخْلُصْتِ إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ
(٣) أَلُمْتُ فَحَيْثُ ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَّعْتُ فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتِ النَّفْسُ تَرْهَقُ
(٤) فَلَا تَحْسِبِي أُنِي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لَشَيْءٍ وَلَا أَنْتِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
(٥) وَلَا أَنَّ قَلْبِي يَزْدَهِيهِ وَعَيْدُهُمْ وَلَا أَنْتِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَحْرَقُ
(٦) وَكَيْفَ وَفِي كَفِّي حَسَامٌ مُدَلِّقُ يَعْضُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ وَيَعْلَقُ
(٧) وَلَكِنْ عَرَّيْتُ مِنْ هَوَاكِ صِبَابَةً كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذْ أَنَا مَطْمَقُ

القصيدة الثانية

وقال جعفر بن عتبة قبل قتله وبلا حظ أنه نظم قصيدته على وزن وقافية قصيدة جده : عبد يعوث بن صلاءة (اقرأ الترجمة) بل إن بعض أبياتهما ومعانيهما متقاربة، فقد قال عبد يعوث :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا شَيْدَ الرِّعَاءِ الْمُعْرِينَ الْمُتَالِيَا
وقال جعفر :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيَا صَحَارِي نَجْدٍ وَالرِّيَاحَ الدَّوَارِيَا
ولا شك أن المحبة واحدة وأن العواطف فيها والمشاعر فيها متشابهة.

(١) التمرج الأعاني (الدار) ١٣ ٥١ والخزانة ٤ ٣١٩ - ٣٢١ وبعض الأبيات في العمارة

(١) مصعد وجنوب ماض إلى جانيكم.

(٢) أني هنا : كيف

(٤) أفرق : أتناول

(٥) يزدهيه : يرميه ويستخذه

(٦) مدلق : قاطع مسنون. هلمات : ح هامة : الرأس

قال جعفر (١) :

- (١) ألا لا أبالي بعدَ يومي بسحبيل
(٢) تركتُ بأعلى سحبيل ومضيقي
(٣) شئتُ به عيظي وخرب موطي
(٤) أرادوا ليثوني فقلت: ثَجَبُوا
(٥) فدى لبني عم أجابوا لدعوتي
(٦) كان بني القرعاء يوم لقيتهم
(٧) تركاهم صرعى كأن صبيحهم
(٨) أقول : وقد أملتُ عن القوم عركة
(٩) فإن بقرى سحبيل لأماره
(١٠) ولم أترك لي رية غير أني
(١١) فتصدقه النفس الكدوت بسآلي
(١٢) شئتُ غليلي من خشية بعدما
(١٣) أحقاً — عاد الله — أن لست راثياً
(١٤) ولا زائراً شَمَّ العرائين أنمي
(١٥) إذا ما أتيت الحارثيات فأنمي
(١٦) وقود قلوصي في الركاب فإنها
(١٧) أوصيكم — إن مت يوماً — بعارم
- إذا لم أعذب أن يحيى حماميا
مراق دم لا يرح الدهر ثاوريا
وكان سناء آخر الدهر باقيا
طريقي، فمالي حاجة من وراثيا
شفوا من بني القرعاء عمي وخاليا
فراخ القطا لاقين صقراً يمانيا
ضجيج دباري النيب لاقت مداويا
ليبك العقيليين من كان هاكيا
ونضح دماء منهم ومحاييا
وددت معاذاً كان فيمن أثنيا
وبعلم بالعشواء أن قد رآنيا
كسوت الهديل المشرفي اليمانيا
صحاري نجد والرباح الدواريا
إلى عامر يخللن رملأ معاليا
هن وخبرهن أن لا تلاقيا
ستضحك مسروراً وتبكي هواكيا
ليغني شيئاً أو يكون مكانيا



- (١) النحرج الأغاني (النداء) ١٣ : ٤٧ — ٤٨. الحماسة (المرروني) : ٢٥٦ — ٢٥٨ وبعضها في الوشحات : ٢٣
(١) سحبيل : موقع دارت فيه معركة
(٥) بنو القرعاء : من بني عقيل أعداء جعفر
(٧) دباري النيب لاقت مداويا : النوق الحرقاء إذا لقيت من بدوايا بالكي أو بالفطران
(٨) عركة : شر وهزيمة
(١١) العشواء : مكان
(١٤) شم العرائين : النساء الجميلات الأموف من بني عامر.
(١٦) قود قلوصي : سق ناقتي مع نوق أعلى.
(١٧) عارم : ابن جعفر

أبونواس

(١٤٦ - ١٩٨ هـ)

(٧٦٣ - ٨١٤ م)

الحسن بن هانيء الحكيم أبو نواس أشهر من أن يعرف به، أو أن يشار إلى مصادره، ولذلك تركت ترجمته وأغفلت ذكر مصادره .

ولكني أحب أن أشير إلى نقطتين اثنتين عرفتُهما في أبي نواس .

أولاهما : أن الشعر كان أقل بضاعته، فقد كان فقيراً وعالمًا، أراد أن يكون بديماً للخلفاء يقوم سواء، فلما أحقق في تحقيق ما يريد عاش مستهتراً وطلب العزاء في الحياة اللاهية . أليس هو القائل :

سأبغى العلى إما نديم خليفة يقوم سواء أو مخيف مسيل
بكل فتى لا يُستطار جنائهُ إذا نوه الرحمان بأسم قتل
لنحمس مال الله من كل فاجر ودي بطية للطيبات أكول
والظاهر أنه خاف الثورة والقتال، فاكتفى من الدنيا بالخمير والمتعة ووجد فيهما عزاء له عن صحبة الخلفاء وقيادة الثائرين .

ثانيهما : أن أبا نواس رغم حياته الظاهرية الخافلة باللهو والمجون والاستهتار يخفي بين صلوعه نفساً متشائمة ويظهر إلى المجتمع والحياة نظرة سوداء .

وحسبك أن أبا العتاهية، وهو أكثر شعراء العربية قولاً في الزهد. شهد لأبي نواس بالتفوق عليه، فكان يقول :

«سبقني أبو نواس إلى ثلاثة أبيات وددت أني سبقته إليها بكل ما قلته. فإنه أشعر الناس فيها»، ثم يعود فيقول : «قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت، وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات الثلاثة :

ألا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وَامِنْ هَالِكٍ وَذُو سَبِيٍّ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقُ
فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ ظَاعِمٌ إِلَى مَرَلٍ نَائِيٍّ الْمَحَلِّ سَحِيقِ
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفُ لَه عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

ولعل أبانوس كان يتحدى الحياة وانتمتع عميد من الدهو والاستهتار، فقد
مع مرحلة لا مسيل إلى زيادة ما فيها من بؤس وشقاء وحية أمل .

وفي اعتقادي أنه الوجه الثاني من الشاؤم الذي يقابل وجه أبي العلاء، فقد
نشأه أبوالعلاء مهجر الحياة وأحجم عن الناس وعن الطيبات حتى جاع أو كاد
يجوع وتشاءه أبانوس فأقبل على الحياة فهو لا يكاد يشع ولا يرتوي.

هاتان هما القطتان اللتان أحببت أن أشير إليهما قبل أن أورد رثاء أبي نواس
لنفسه قبل موته .

أولى وصف لساعات أبي نواس الأخيرة بحدها في الأعالي ٦ : ١٩٢ وكما
ورد في كتاب (بهجة المجالس وأسس المجالس) ٣ . ٣٧٥ — ٣٧٦ وجاء فيه :

قال محمد بن إبراهيم الكاتب . دخلنا على أبي نواس بعوده في مرضه الذي
مات فيه، ومعا صالح بن علي الهاشمي، فقال له صالح: تب إلى الله يا أبا علي،
فإنك في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وبينك وبين الله هات.
فقال : أسندوني، فأسدوه فقال :

— إياي تخوف بالله ؟ قد حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي، عن
أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «شفاعتي لأهل الكبائر
من أمتي» أتراني لا أكون منهم ؟ وقد حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن
أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يموتن أحدكم إلا وهو
يحسن الظن بالله . فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة »

.....

حدث محمد بن يعقوب الرازي : كنت جاراً لأبي نواس، فعذته في مرضه
الذي مات فيه، ودخل عليه طبيب نصراني اسمه سعيد، فنظر إليه ووصف له
دواء يعمله به، ثم خرح وخرجت بخروجه، فغمزني وقال : مرهم لا يعذبه بالدواء،
فإنه الساعة يموت، فرجعت إليه فقال : سألتك بالله ما قال لك النصراني . فأني
رأيت قد غمرك ؟ فقلت : ما عسى أن يقول ؟! فقال : أقسمت عليك لما أخبرتني،

فأحيرته، فرفع عييه إلى السماء، وسالت دموعه على حديه وقال :

يـارب إـبي لـم أـرل فـسي مـثل حـال السـحره
حـير اسـتلاذوا بعـرى الـديـن وـكـاـمـوا كـهـره
فـأمـمـوا يـومـاً فـمـا رـوا بـشـواب البـرره
ولـم أـرل مـسـتـشـعر الإيـس مـاـن يـا دا المـقـدره
فـاعـمـر فـابـي مـنـك أو لـسـي مـهـم بالمـعـفره

آيات أبي نواس قبيل وفاته

حكايان ترويان عن آيات أبي نواس قبيل وفاته
أما الرواية الأولى؛ فجاء فيها :

رآه بعض إخوانه بعد موته بأيام في المنام فقال له : ما فعل الله بك! قال :
غفر لي بأبيات قلتها، وهي الآن تحت وسادتي، فطروا وإذا برقعة تحت وسادته
في بيته، فيها مكتوب (الآيات)، وفي هذه الرواية ما فيها من زخرف وتزيين .

أما الرواية الثانية فخالية من الزخرف : قال الرياشي : وجدت تحت الفراش
الذي مات عليه أبو نواس رقعة مكتوب فيها هذه الآيات :

- ١ يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
- ٢ إن كان لا يرجوك إلا مذب فبمس يلوذ ويستجير المجرم
- ٣ أدعوك رب كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمس ذا يرحم ؟
- ٤ مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك، ثم إني مسلم



(٢) ورودي إلا محس، ولعل (إلا مذب) أولى بالتوبة

نمىم بن جمىل السدوسى

(... - ٢٤٠ هـ)

(... - ٨٥٣ م)

قدم للموت فقال قصيدته يرثي نفسه فحيا من القتل .

* اسمه وحياته :

لا يعرف منه غير اسمه واسم قبيلته وأبياته عند تعرضه للقتل في زمن المعتصم ، ثم عمر الخليفة عنه ، ونحاته من الموت وعودته إلى أهله .

* الخلاف حول الشاعر صاحب الأبيات .

١ - جاء في العقد الفريد ٢ : ٢٧ - ٢٨ مايلى :

قال أحمد بن أبي دؤاد . مارأينا رجلاً نزل به الموت فما شعله ذلك ولا أدهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن حميل ، فإنه كان تغلب على شاطئ الصرات وأوى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب ، حين يجلس للعامة ، ودخل عليه ، فلما مثل بين يديه دعا بالطع والسيف ، فأحضرا ، فجعل تميم بن حميل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً ، وجعل المعتصم يصعد الطرف فيه ويصوبه ، وكان جسيماً وسيماً ، ورأى أن يسقطه لينظر أين حماه ولسانه من منظره فقال .

يا تميم إن كان لك عذر فأت به ، أو حجة فادل بها

فقال :

أما وقد أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين . يا أمير المؤمنين ؛ إن الدنوب تحرس الألسنة ؛ وتصدع الأفئدة ، ولقد عظمت الحريرة وكبر الذنب ، وساء الطعن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولاهما بامتنانك ، وأشبههما بخلائقك .

ثم أنشأ يقول :

الأبيات

قال : فتبسم المعتصم وقال : كاد والله يا تميم أن يسق السيف العذل ، اذهب فقد

غفرت لك الصبوة، وتركتك للصيبة.

وأورد ابن عبد ربه تسعة أبيات لتعيم:

٢ - أما الحصري صاحب زهر الآداب فيوافق ابن عبد ربه في صاحب القصة ويصيف شيئاً من التفاصيل قال: ٢ : ٨٣٩ - ٨٤٠ وكان تميم بن جميل السدوسي قد أقام بشاطئ الفرات واجتمع إليه كثير من الأعراب، فعظم أمره وبعد ذكره؛ فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في المهوض إليه، فتبدد جمعه، وظفر به فحمله موثقاً إلى باب المعتصم فقال أحمد بن أبي دواد:

ويورد كلام القاضي بنصه ويصيف:

ثم أمر (المعتصم) بهك قيوده وخلع عليه وعقد له على شاطئ الفرات. وأورد الحصري لتعيم تسعة أبيات:

٣ - أما ياقوت الحموي فيخالف الحصري وابن عبد ربه في اسم الشاعر وفي اسم الخليفة الذي عفا عنه، معجم البلدان: رجة مالك بن طوق:

١ - الشاعر هو مالك بن طوق.

٢ - الخليفة هو هارون الرشيد.

وبعد أن يرد ياقوت شيئاً من خبر مالك بن طوق وعلاقته بالرشيد يقول: أنفذ إليه (مالك بن طوق) الرشيد يطلب منه مالاً فتعلل عليه بعلته ودافعه عن حمل المال، ثم نبى الرسول إليه وكذلك راسله ثالثاً، وبلغ هارون الرشيد أنه قد عصى عليه وتحصن فأنفذ إليه الجيوش إلى أن طالت بينهما المحاربة والوقائع ثم ظفر به صاحب الرشيد نحمله مكبلاً بالحديد، فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام، لم يسمع منه كلمة واحدة، كان إذا أراد شيئاً أو ما برأسه ويده، فلما مضت له عشرة أيام جلس الرشيد للناس وأمر بإخراجه فأخرج من الحبس إلى مجلس أمير المؤمنين، والوزراء والحجباء والأمراء بين يدي الرشيد، فلما مثل بين يديه قبل الأرض ثم قام قائماً لا يتكلم، ولا يقول شيئاً ساعة أمة قال: فدعا الرشيد النطع والسيف وأمر بضرب عنقه، فقال له يحيى (البرمكي). يلك يامالك لم لا تتكلم؟ فالتفت إلى الرشيد فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين...

ويورد ياقوت مثل كلام ابن عبد ربه والحصري في الاعتذار، ثم أنشأ يقول.

الأيـات

قال - فبكى الرشيد بكاء تبسم ثم قال . لقد سكنت على همة ، وتكلمت على علم وحكمة ، وقد وهبناك للصبيّة فارجع إلى مالك ، ولا تعاود فعالك ، فقال سمعاً لأمر المؤمنين وطاعة ، ثم انصرف من عنده بالخلع والخوثر .

تلك ثلاث روايات ، تتفق اثنتان منها اتفاقاً كاملاً في اسم الشاعر وفي اسم الخليفة ، وتختلف الثالثة عنهما اختلافاً مبيّناً ، فما هو الرأي الصحيح ؟ . .

نحن نرجح ، بل نكاد نقطع أن الأبيات لتميم بن جميل ، وأن الحادثة جرت في أيام المعتصم وذلك :

١ - الروايتان الأولى والثانية متفقتان .

٢ - الروايتان توردان الحادثة على لسان شاهد عيان هو القاضي أحمد بن أبي دواد .

٣ - في زهر الآداب أن مالك بن طوق هو الذي تولى قتال تميم بن جميل وأسرهم وحملهم موثقاً إلى باب المعتصم .

٤ - وأكثر من ذلك أن ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ) والخصري (. . .) - ٤٥٣ هـ) أقرب عهداً لزمان المعتصم من ياقوت الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ) .

٥ - ثم إن الدولة العباسية في عهد الرشيد كانت في أوج قوتها وثماسكها ولم يرد في التاريخ نبأ عصيان قام به مالك بن طوق على الرشيد ، فقد ورد ذكره عرضاً في الطبري ٢ : ١١٧ و ٩ : ٢٨٧ وورد في الأعلام في ترجمة مالك بن طوق (. . .) - ٢٥٩ هـ) (. . .) ٨٧٣ م) مايلي :

مالك بن طوق بن عتاب التغلبي ، أبو كلثوم : أمير كان من الأشراف العرسان الأجواد ، ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي وبني بمساعدة الرشيد بلدة «الرحبة» التي على الفرات وتعرف برحبة مالك ، نسبة إليه . .

٦ - نخلص مما تقدم أن ماورد في زهر الآداب وفي العقد الفريد صحيح وأن ماورد في معجم البلدان ليس صحيحاً .

وبقي علينا إن تيسر لنا الأمر أن نجد أخباراً أخرى وافية على حياة تميم بن جميل . . .

الآيات

قال تميم:

- ١ - أرى الموت بين السيف والبطح كامناً
 - ٢ - وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
 - ٣ - وأي أمرى يدلسي بعذر وحجة
 - ٤ - يبرز على الأوسر بن تغلب موقف
 - ٥ - وما جزعي من أن أموت وإنني
 - ٦ - ولكن خلفي صبية قد تركتهم
 - ٧ - كأني أراهم حين أنعم إليهم
 - ٨ - فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة
 - ٩ - وكم قاتل لا يبعد الله داره
- يلاحظني من حيث ما أفلقت
وأي أمرى عما قضى الله يقلت
وسيف المنايا بين عينيه مضلت
يبرز علي السيف فيه وأسكت
لأعلم أن الموت شيء مؤقت
وأكبادهم من حيرة تنفتت
وقد تخشوا تلك الوجوه وضوتوا
أدود الردى عنهم وإن بت موتوا
وأخسر جذلان يتر ويسممت

• استطراد:

في كتاب الأسر والسجن في شعر العرب للدكتور أحمد مكنار البررة تعليق على
آيات تميم أحببت إيراده ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

وفي مواقف أخرى تستقطب المخاوف والأحزان حول عنصر خارجي وثيق الصلة
بمواطف الشاعر، وقد استطاع أحد الشعراء بحديثه أن يحمل نفوس السامعين على
التعاطف والتداعي له، وأن يغير خاتمة الموقف الفاجع إلى نحة قال:

وما جزعي من أن أموت وإنني
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
لأعلم أن الموت شيء مؤقت
وأكبادهم من حيرة تنفتت

(١) البيت (٥) في باقوت وماي خوف

(٢) البيت (٦) في باقوت: من خشية

(٣) البيت (٨) ودوي سالىر بدل خافضين

فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
والشاعر في هذه الأبيات اعترف بالجزع وإن أنكر خوفه من الموت. وإذا كان
الأطفال الصلة فيما بينه وبين الحياة، والقوة الجاذبة. فهو قول جميل فيه الكثير من السبل
والإخلاص، ولكن أفعاله - في الحق - كانوا في قرارة نفسه هم الحياة، فالحياة كلها
توهم في حبه لأولاده، وتعلقه بهم تعلقه بالبقاء، فكان أولاده رمزاً للحقيقة الخالدة التي
هي حب الحياة.



الحلاج
الحسين بن منصور

(. - ٣٠٩ هـ)

(... - ٩٢٢ م)

المصادر

- ١ دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧
- ٢ تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٧
- ٣ طبقات الصوفية ٣٠٧
- ٤ البداية والنهاية ١١ : ١٣٢
- ٥ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٣٩
- ٦ وفيات الأعيان ١ : ١٤٦
- ٧ تاريخ بغداد ٨ : ١١٢
- ٨ ماسيون (أخبار الحلاج)
ومصادر أخرى كثيرة...

اسمه وكنيته :

الحسين بن منصور الحلاح، يكنى أبا المعيث وقيل أبا عبدالله.

حياته :

قال ابنه أحمد بن الحسين بن منصور^(١) :

مولد والدي الحسين بن منصور بالبصرة في موضع يقال له : الطور، ونشأ بتستر. ثم صعد إلى بغداد.. وأول ما سافر من تستر إلى البصرة كان له ثمان عشرة سنة... ثم تزوج والدي أم الحسين بنت يعقوب الأقطع... ثم خرج إلى مكة وجاور سنة ورجع إلى بغداد... وأخذ والدي ورجع إلى تستر وأقام نحواً من سنة... ثم حرج وغاب عنا خمس سنين بلغ إلى حراسان وما وراء النهر، ودخل إلى سجستان، وكرمان ثم رجع إلى فارس.. ثم صعد من فارس إلى الأهواز وأنفذ من حملي إلى عده... ثم حرج إلى البصرة وأقام مدة بسيرة، وحلفني بالأهواز عند أصحابه، وخرج ثانياً إلى مكة، ورجع إلى البصرة وأقام شهراً واحداً وجاء إلى الأهواز وحمل والدي وحمل جماعة من كبار الأهواز إلى بغداد، وأقام في بغداد سنة واحدة ثم قال لبعض أصحابه :

- احفظ ولدي أحمد إلى أن أعود أنا فإني قد وقع لي أن أدخل إلى بلاد الشرك وأدعو الخلق إلى الله عز وجل وحرج، فسمعت بخبره أنه قصد إلى الهند ثم قصد حراسان ثانياً ودخل ما وراء النهر وتركستان إلى ماصين، ودعا الخلق إلى الله تعالى... ثم كثرت الأقاويل بعد رجوعه من هذه السفرة فقام ورحل ثالثاً وجاور سنتين. ثم رجع وتغير عما كان عليه في الأول، واقتنى العقار ببغداد وبني داراً...

(١) تاريخ بغداد ٨ : ١١٢

حديث حجه (٥)

دخل الحسين بن منصور إلى مكة، وكان أول دخلته، فجلس في صحن المسجد ستة لا يرح من موضعه إلا للطهارة أو للطواف، ولا يبالي بالشمس ولا بالمطر، وكان يحمل إليه كل عشية كور ماء للشرب وقرص من أقراص مكة، ويأخذ القرص وبعض أربع عضات من جوانبه ويشرب شربتين من الماء، شربة قبل الطعام وشربة بعده، ثم يضع القرص على رأس الكور فيحمل من عنده.

سجنه :

كثرت أقاويل الناس حول الخلاج، فكان يقول قوم : إنه ساحر، وقوم يقولون : مجنون وقوم يقولون : له الكرامات واحتلفت الألس في أمره حتى أخذه السلطان وحجسه...

عقيدة الخلاج :

ما أطر أن أحداً في الإسلام اختلف الناس في عقيدته اختلافاً عجباً، كما اختلفوا في عقيدة الخلاج. جاء في دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٨ ما يلي :

(وقل بين المسلمين من ثار حوله الجدل، كما ثار حول الخلاج، ذلك أن الرأي العام وضعه موضع التقديس والولاية على الرغم من إجماع القضاة على تكفيره) وقد انقسم المسلمون في أمره ثلاثة أقسام :

١ - قسم يقول بتكفيره

٢ - قسم يقول بولايته

٣ - قسم ثالث توقف في الحكم عليه

وتسرد دائرة المعارف الإسلامية أسماء عدد كبير من هذه الأقسام الثلاثة ويمكن لمن يريد الإطلاع على هذه الأسماء مراجعتها فيها، وهي تضم رأي الفقهاء والمتكلمين والحكماء والصوفية، وبعض العلماء المعاصرين.

حجسه :

كثرت الوشايات بالخللاج، وانتهى خيره إلى السلطان يعني المقتدر بالله، فلم يقر

بما رمي به من ذلك، وعاتبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر، في كل يوم غدوة، ويبادي عليه بما ذكر عنه. ثم يزل به، ثم يحبس فأقام في الحبس سبع كثيرة (ورد في الموسوعة الإسلامية ٨ : ١٧ . وأمضى ثماني سنوات في سجن بغداد).

قتله وصلبه :

أمر أمير المؤمنين (المقتدر) تسليمه إلى حامد بن العباس، وأمر أن يكشفه بحصرة القصة، ويجمع إليه وبين أصحابه، فجرى في ذلك حطوب طوال، ثم استيقظ السلطان أمره... ووقف على ما ذكر له عنه، فأمر بقتله وإحراقه بالنار، فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربي، يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط، وقطعت يداه ورجلاه، وصربت عنقه وحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس على سور السجن الجديد، وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه. (تاريخ بغداد ٨ . ١٢٧)

ساعات الحلاج قبل قتله، وموقفه :

لما كان الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن منصور قام من الليل، فصلى ماشاء الله. فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه، ومد يده نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحمظ...

ولما حبس الحلاج قيد من كعبه بثلاثة عشر قيداً، وكان يصلي مع ذلك في كل يوم وليلة ألف ركعة، وقطعت أعصاؤه يوم قتل عضواً عضواً وما تغير لونه. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣١)

وقال أحد شهود قتله، كنت أقرب الناس من الحلاج فضرب كذا وكذا سوطاً، وقطعت يداه ورجلاه فما نطق.

وقال شاهد آخر : كنت أقرب الناس من الحلاج حين صرب، وكان يقول مع كل صوت (ولعلها سوط) أحد أحد. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣١)

وقال خادم الحلاج :

لما كانت الليلة التي وعد من العد بقتله، قلت له : يا سيدي أوصني. فقال لي . عليك نفسك، إن لم تشعلها شعلتك، قال : فلما كان من الغد وأخرج للقتل قال : حسب الواحد أفراد الواحد له، ثم خرج يتحتر في قيده ويقول .

نُـدِـي غَيْرُ مَسْرُوبٍ إِلَى شَيْءٍ مِّنَ الْحَيَـثِـثِ
سَقَمَ سَائِي مَثَلُ مَا يَشْرَبُ فَعَلَّ الضَّيْفَ بِالصَّيْفِ
فَلَمَّا دَارَتْ الْكَأْسُ دَعَا بِالتَّطْبِيعِ وَالسَّيْفِ
كَذَا مَرَّ يَشْرَبُ السَّرَاحَ مَعَ التَّيْنِ فِي الصَّيْفِ
أنها الحق (١) ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل (تاريخ بغداد ٨ :
١٣١ - ١٣٢).

وقال شاهد ثالث :

آخر كلمة تكلم بها الحسين بن منصور عند قتله وصلبه أن قال : (حسب الواحد أفراد الواحد له) فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له واستحس هذا الكلام منه. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٢)

وقال شاهد رابع :

لما أدني إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته يقول : يا معين الفنا علّي أعني على الفنا. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٠)

وورد في تاريخ بغداد (٨ : ١٣٣)

أمر المقتدر أن يدفع إليه (إلى حامد بن العباس) قبضه واحتفظ به، وكان يخرج كل يوم إلى مجلسه، ويتسقطه ليتعلق عليه بشيء يكون سبباً له إلى قتله. فكان الحلاج لا يريد على إظهار الشهادتين والتوحيد وشرائع الإسلام...

رأي في أسباب قتل الحلاج :

اعتاد الحكام تعظية جرائمهم في قتل المفكرين بتهمة الإلحاد والزندقة، وأعتقد

(١) الآية : ١٨ السورة : الثوري

أن الخلاج كان من هؤلاء الضحايا. ومن المؤكد أن الخلاج بلغ مرتبة مرموقة بين الناس، وأن الحكام حافوا شهرته فرموه بالزبدقة ليتخلصوا منه ثم قتلوه. وفي (تاريخ بغداد ٨ : ١١٢ - ١٤١ ترجمة الخلاج) ولعلها أطول ترجمة له وهي تبين بنفوذ الخلاج السياسي والديني، وإليك هذه الشواهد :

١ - كان الخلاج يسمو إلى أمر عظيم، ويعرف أنه سيقتل أو سيدرك الأمر العظيم. قال : (تاريخ بغداد ٨ : ١١٧)

ولي نفس سَتَلَف أو سَتَرْقَى لعمرُك يبي إلى أمرٍ جسيم
٢ - وعندما حج الخلاج دخل مكة ومعه أربعمئة (٤٠٠) رجل (تاريخ بغداد ٨ : ١٢٥)

٣ - ووقع له (للخلاج) عند الناس قبول عظيم حتى حسده جميع من في وقته. (تاريخ بغداد ٨ : ١١٣)

٤ - لما رجع (من رحلته إلى الهند) كانوا يكتبونه من الهند بالمقيث، ومن ماصين وتركستان بالمقيث، ومن خراسان بالمميز، ومن فارس بأبي عبدالله الراهد، ومن خوزستان، بالشيخ حلاج الأسرار، وكان ببغداد قوم يسمونه المصطلم، وبالبصرة يسمونه المحبر. (تاريخ بغداد ٨ : ١١٣ - ١١٤)

٥ - لما قدم (الخلاج) بغداد استغوى كثيراً من الناس والرؤساء، وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله فيهم. (تاريخ بغداد ٨ : ١٢٤)

٦ - وأصبح كذلك داعياً للقرامطة في خراسان والأهواز وفارس والهند والتركستان. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٧ - وسرعان ما اجتمع حوله تلاميذه الخلاجية عند عودته من مكة إلى بغداد عام ٢٩٦ هـ. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٨ - وكانت رعاية شغب أم المقتدر، والحاجب نصر للخلاج سبباً في أن عاداه الوزير حامد (بن العباس) فأمر بقتله. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٩ - التمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يسم إلى الخلاص، ومن وحد من دعائه، فدفع عنه مصر الحاجب، وكان يذكر عنه الميل إلى الخلاص (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٣)

من هذه الشواهد الدافعة يتبين لنا أن قتل الخلاص كانت له أسباب سياسية (أظهرت كانت هي الأسباب الأصلية) إلى جانب بعض الاتهامات الدينية التي لم تثبت. وأعتقد أن الخلاص رجل مسلم مؤمن بالله في الله، ودعا إلى وحدة الوجود. وأرى أنه قتل وصلب مظلوماً، كما قتل وصلب ملايين الناس مظلومين من قبله ومن بعده، وما أصدق قول الجواهري :

لشورة الفكر تاريخ يُذكرنا

بأن ألف مسيح دوله صلبا

ذلك هو الخلاص وتلك حياته وأحار سحره وقتله وصلبه في احتصار شديد، وهذا رأيي في أسباب قتله، وهي أسباب احتلظت فيها السياسة والدين، والله أعلم .

قصيدته ومقطوعاته عند قتله

للخلاص مقطوعتان قبل قتله، إحداها من ثلاثة أبيات وثانيتهما من أربعة أبيات وله قصيدة ثلاثة من ثمانية أبيات.

المقطوعة الأولى :

لما أخرج الحسين بن منصور ليقتل أنشد (*) :

- (١) طلبتُ المُستَقَرَّ بكلِّ أرضٍ فلم أر لي بأرضٍ مُستَقَرًّا
- (٢) وذقتُ من الزمانِ وذاقَ مِنِّي وجِدتُ مذاقَه حُلواً ومُراً
- (٣) أظعتُ مطامِعِي فاستعدثني ولو أنِّي فسعتُ لكِستُ حُرّاً

(*) التخرُّج : تاريخ بغداد ٨ : ١٣٠ والبدلية والنهاية : ١٧ : ١٣٢ ... وغيرهما..

المقطوعة الثانية :

فلما أحرح للقتل... حرح يتبحتر في قيده ويقول(١) :

سـديـمـي غـيـسـرُ مـنـسـوبٍ إلى شيءٍ مـنـ الحـيـثُ
سـقـاي مثـلـمـا يـثـُـرُ سـرُّ فـعـل الصـيـفِ بالضـيـفِ
فـلـمـا دـارتِ الكـسـاً سُرُّ دَعَا بِالتَّطـعِ والسـيـفِ
كـدَا مـن يـشـرُّ السـرا حَ مَعَ التـيـنِ في الصـيـفِ

قصيدة الحلاج

قال الحلاج :

- (١) أُنـعـى إلـيـك مـوسـاً طـاح شـاهـدُها فـيـمـا ورا الحـيـثُ أو في شـاهـدِ القـدمِ
- (٢) أُنـعـى إلـيـك قـنـوباً طـالـمـا قـطـلـتُ سـحـائـبُ الوـحـي فـيـها أبحـر الحـكـمِ
- (٣) أُنـعـى إلـيـك لـسـانَ الحـقِّ مـكِّ ومـنْ أودى ونـدكـارُه في الوَهمِ كالقـدمِ
- (٤) أُنـعـى إلـيـك يـابـاً يـسـتـكـيـنُ لـه أقـوالُ كـلِّ فـصـيـحٍ مـقـولِ فـيـهـمِ
- (٥) أُنـعـى إلـيـك إـشـارـاتِ العـقـولِ مـعاً لـم يـسـقُ مـنـهـرٌ إلـا دـارِسُ العـلـمِ
- (٦) أُنـعـى — وحقُّك — أحـلـاقاً لـطـائـفـةٍ كـانـتُ مـطـايـا هـم مـنْ مُكـمـدِ الكـظـمِ
- (٧) مـضـى الحـمـيـعُ فـلا عـيـرٌ وـلا أثـرٌ مـضـى عـادٍ وفـقـدانِ الأوـلى إلـزمِ
- (٨) وَحَلَمُوا مَعْشَراً يَحْدُونَ لِسْتَهُمْ أَعْمَى مَن التَّهَمِ بَلْ أَعْمَى مَن التَّعَمِ

تفسير الأبيات بقلم صديق صوفي رفض ذكر اسمه :

- ١ - نعى الحلاج طائفة الصوفية الذين حوربوا في عصره، وكان هو على رأس من حورب وقتل. وقوله طاح شاهدها يريد المكاشف من الصوفية، وهو صاحب الذوق، أو العارف بالله، الذي يرى هاء النفوس سواء أكان ذلك في مجال الحيث^(١) أي المكان أو في القدم الخارج عن مجال الحيث.

(١٠) التخرج تاريخ بغداد ٨ : ١٣١ ١٣٢ والبلدية والنهاية ١١ : ١٣٢ وغيرها...

(١) لأن النفوس لا تقوم ببلانها، بل يواجه قوجود، هوجود النفوس إساق.

فالصوفيون يؤمنون بالصماء لأهم عاشوا مقامه.

٢ - كما نعى الحلاج قلوب العارفين، وهم أصحاب العلم الديني الدين اصطفاهم الله للوحي والمكاملة. فوصف هذه القنوب بالأرض التي هطلت عليها سحائب الوحي والحكم.

٣ - يعني بلسان الحق، لسان العارف. وهو ها الحلاج نفسه الذي صار لسان الحق ما دام الحق قد خصه بالوحي. ويذكرنا هذا بوصفه سبحانه وتعالى لرسوله في قوله :

(وما يطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (سورة النجم الآية ٣) وبالحديث القدسي القائل : ما يزال العبد يتقرب إليّ بالوفاء حتى أحبه، فإذا أحببته صرت بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها...

٤ - وفي البيت الرابع وصف لبيان العارف، ووضح أن بيان الأعلام من الصوفية غير ذي مثيل، ويكفي أن نذكر بيان ابن الفارض والعرابي وابن عربي والحلاج نفسه الذي كان له شعر فصيح رفيع يوازي أفكاره الصوفية قيمة وجمالاً.

٥- ومضى الحلاج يمدح أخلاق الصوفية الذين وصفهم بإشارات العقول^(١)، لما جاوزوا به من علوم ما تزال موضع الحيرة والتجلة حتى عصرنا هذا. والذين لم تبق منهم إلا الهياكل، والذين صدق فيهم قوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) (آل عمران الآية ١٣٤) بعد أن لاقوا من العدا والمخاربة ما لاقوا.

٧ - ونظم الحلاج قصيدته بوصف الرعاع الذين بغوا في الأرض بعير الحق، فكانوا أعمى من البهم - البهائم - والعم - الأنعام.

(١) أي العقول المفارقة، أو الأرواح النورية، أو الطبقة الأولى من الأرواح، وتضم الأبياء والأولياء الصوفية.

الطفرائي
الحسين بن علي
(٤٥٥ - ٥١٣ هـ)
(١٠٦٣ - ١١٢٠ م)

الطغـرائي^(١)

(٤٥٥ - ٥١٣ هـ)^(٢)

(١٠٦٣ - ١١٢٠ م)

يرثي نفسه حين أعد السلطان العدة لقتله ثم ينجو ثم يقتل.

* ترجمته:

هو الحسين بن علي بن عبد الصمد المشهور بالطغرائي، يكنى أبا اسماعيل ويلقب مؤيد الدين، وينعت بالأستاذ، ولد عام ٤٥٥ هـ من أسرة عربية تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي، في «ج» من أعمال أصبهان.

والطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء، وهذه نسبة إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق السملة بالقلم الجلي تتضمن نعوت الملك وألقابه، وهي لفظة أعجمية.

عاش الطغرائي في ظل الدولة السلجوقية، واشتغل في ديوان الإنشاء، وترقى في مناصب الكتابة حتى تولى رئاسة الديوان، ثم عزل عنه في عام ٥٠٥ هـ، والظاهر أن عزله أثر في نفسه أثراً كبيراً، وهو الذي كان يطمح إلى أعلى من هذا المنصب، فنظم قصيدته اللامية (لامية العجم) معبراً عن آلامه من العزل وعظله من العمل.

وعاد الطغرائي إلى الديوان وتولى الوزارة في عهد السلطان مسعود بن محمد السلجوقي، ونشبت الحرب بين السلطان مسعود وأخيه السلطان محمود، فانتصر محمود وقبض على الطغرائي، وزير مسعود، قال العماد الكاتب في تاريخ الدول السلجوقية. «فاول من أخذ الأستاذ أبو اسماعيل (الطغرائي) وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكيال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي، فقال الشهاب أسعد، وكان طغرائياً في ذلك الوقت؛ نيانة عن النصر الكاتب: هذا الرجل ملحد - يعني الأستاذ - فقال وزير محمود: من يكن ملحداً يقتل، فقتل ظلماً، وقد كانوا يخافوا منه

(١) اللاميات إعداد وشرح عبد الحميد اللوحى (ف - ق)

(٢) في حياته وموته خلاف قليل (٤٥٣ - ٥١٥ هـ) وقصداً تاريخ «الإعلام له»

لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة^(٣).

• ساعات الطغرائي الأخيرة:

ويروى الصفدي قصة الساعات الأخيرة من حياة الشاعر ويعلق عليها فيقول:
«أنخبرني العالم العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري بالقاهرة
المحروسة أن الطغرائي لما عزم أحو محذومه على قتله أمر به أن يشد إلى شجرة، وأن يقف
تجاهه جماعة ليرموه بالسهم ففعل به ذلك، وأوقف إنساناً خلف الشجرة من غير أن
يشعر به الطغرائي وأمره أن يسمع مايقول، وقال لأرباب السهام، لا ترموه إلا إذا أشرت
إليكم فوقفوا والسهم في أيديهم مفوفة لرميه فأشد الطغرائي في تلك الحالة.

الآيات

• السلطان يطلق سراحه ثم يقتله بدسياسة الوزير:

مرق له السلطان وأمر بإطلاقه، ثم إن الوزير عمل على قتله فيها بعد فقتل.
ولاندري الفترة التي فصاها بين إطلاق سراحه ثم قتله ولعلها لاتعدو أشهراً.

• تعليق الصفدي على الآيات:

قال الصفدي معلقاً: قلت ما هذا إلا ثبات جنان بل ثبوت جنون، لقد أرى هذا
في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات إلى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى
لمحبوبه في السراء والضراء على عنثرة العبي وغيره ممن تبعه من الشعراء حين قال.
«ولقد ذكرتك» ولم يورد الصفدي البيتين لشهرتهما وهما.

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهد تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كسارق ثغرك المتبسم

• أبيات الطغرائي قبل قتله:

وردت الأبيات أربعة في كل من تحدث عن قتله دون زيادة ولا نقصان:

١ - وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُسَدُّ سَهْمَهُ نَحْوِي وَأَطْرَافُ الْمَيْيَةِ شُرْعُ

(٣) النث المسج في شرح لاته المعجم للمعني (اللقطة).

- ٢ - والموتُ في لحظاتٍ أحورَ طرفه دوي، وقلبي دونه يَتَقَطُّعُ
 ٣ - بالله فَتَشُّ في عوادي هل يُرى فيه لعير هوى الأُخَّةِ مُوَصِّعُ
 ٤ - أهونُ به لو لم يكن في طَيِّه عهدُ الحبيبِ وسيره المُسْتَوْدَعُ

وهكذا تنتهي حياة شاعر عربي نافست قصيدته (لامية العجم) لامية العرب
 للشنفرى في شهرتها وتداولها بحجة أنه ملحد، ولم يكن ملحداً، ولكنها مكر الماكرين،
 وقد مرَّ معنا في الفصل السابق مؤمن آخر هو الحلاح قتل وصُلب بحجة أنه ملحد.



(١) البيت الثالث في الديوان

بالله فتش في عوادي أولاً هل فيه لهم اللد مرجع

متفرقات

مفرقات

أفرد ابن عديربه في كتابه (العقد الفريد) الجزء الثالث : ١٧٦ — ١٨١ فصلاً تحت عنوان (المراثي : من رثى نفسه ورصف قبره وما يكتب على القبر) وجاء في هذا الفصل ذكر ليزيد بن خدّاق، وقد أفردنا له فصلاً في كتابنا، ومالك بن الربيع. ومرت ترجمته وقصيدته، وهدية بن الحشرم العذري. وله فصل خاص، ولذلك لم نذكرهم في فصل المراثي التي وردت في العقد الفريد، وبورد من لم يرد في كتابنا.



أبو ذؤيب الهذلي^(٥)

- (١) أعادل أبقي للعلامة خطها إذا راح غسي بالجليّة عائدي
- (٢) فقالوا : تركاه ترلرل نصه إذا أسندوني أو كدا غير ساد
- (٣) وقام بناتي بالعمال حواسراً والصقن ضربت السبت تحت القلائد
- (٤) يودون لو يمدوني بفوسيهم ومشى الأواقي والقيان الواهيد
- (٥) وقد أرسلوا فراطهم فتأثوا قليلاً سفاها كالإماء القواعد
- (٦) مطأطأة لم يتبطوها وإنها ليرضى بها فراطها أم واحد
- (٧) قضوا ما قضوا من رمها ثم أقبلوا إلي بطاء المشي غير السواعد
- (٨) يقولون لما جشت البئر : أوردوا وليس بها أدنى ذفاف لإوارد
- (٩) فكش ذنوب البئر لما تبسلت وسرسلت أكفاني ووسدت ساعدي
- (١٠) أعادل لا إهلاك مالي ضرني ولا وارثي — إن ثمر المال — حامدي

(٥) النسخ وردت في العهد المرید ٣ ١٧٧ ثلاثة أبيات من قصيدة أبي ذؤيب هي ٦ و ٧ و ٩ واستدركنا الأبيات كلها من ديوان المهديين ١ ١٢١ — ١٢٣ ، و قصيدة بيت في رثاء بعضه ولكنها في رثاء أصدقائه واستشهد بها إلى ذكر ما سوف يحل به كما حل بهم.

- (١) يقول : لومي لوما إذا أردت أن راحمي كان غلامت خط لا ينقطع
- (٢) إذا أسندوني على الأسناد لو كما أنا جالس الآن دون سد
- (٣) قامت ساي بصري صبورهم بالعمان وبحورهم السب — بكر أسير — العمال اندبوعه
- (٤) مشى اللأواقي أي أواق بعد أواق. والأوقية أرمون درهما والقيان ج قبة، الإماء
- (٥) فراطهم ج فراط المتقدمون منهم سفاها رباها. شبه ما خرج من ترابها — وهو أكرام وكل بالإماء القواعد. والتائل : الأعاد من تائل : اتعد.
- (٦) مطأطأة محفصة، لم يبطوها لم يستخرجوا ما بها أرادوا أن يصم من واحد وإن فيها مكانا لأكثر من بيت
- (٧) الرم الإصلاح بطاء المشي أي مكشيب حرماً غير السواعد آثار التراب على أيديهم وسواعدهم
- (٨) جشت البئر كسحب وأخرج ما فيها الدواف الماء القليل يقول ليس بها ماء
- (٩) ذنوب البئر دلو البئر تسلب كره مظهرها، والبسل الكربة سرسلت أكفاني ووسدت ساعدي، كانت ثباتي أكفاني ووسادني ساعدي.
- (١٠) لم يضرني ما أنفقت من مالي ولم يحملي من ورث مالي.

ملاحظة : تذكرنا قصيدة أبي ذؤيب الهذلي بدخا في أوصاف الموت وأوصاف الميت بعبثه يريد من خداه — فكارن ييها

عروة بن خزام

قال عروة بن خزام لما نزل به الموت (١)

- (١) مَنْ كَانَ مِنْ أَخَوَاتِي بَاكِياً أَبَداً هَالِيوماً، إِنِّي أُرَانِي الْيَوْمَ مَقْبُوضاً
(٢) يُسَمِّعِيهِ فَإِنِّي عَيْرٌ سَامِعِيهِ إِذَا عَلَوْتُ رِقَابَ الْقَوْمِ مَقْرُوضاً



الطرماح

وقال الطرماح (١)

- (١) فَيَارِبِ لَا تَجْعَلْ وَفَاتِي إِنْ أَتَيْتُ عَلَى شَرْجَعٍ يُعَلَى بِذِكْرِ الْمَطَارِفِ
(٢) وَلَكِنْ شَهِيداً ثَاوِيّاً فِي عِصَابَةٍ يُصَابُونَ فِي فَحٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
(٣) إِذَا فَارَقُوا دِيَارَهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى وَصَارُوا إِلَى مَوْعِدٍ مَا فِي الصَّحَائِفِ
(٤) فَأَقْتُلْ قَعْصاً ثُمَّ يُرْمَى بِأَعْظَمِي مَفْرَقَةً أَوْصَالُهَا فِي التَّائِبِ
(٥) وَيَبْصَحُ قَبْرِي بَطْنِ طَيْرٍ مَقِيلُهُ بِحَوِ السَّمَاءِ فِي ثُورٍ عَوَاكِفِ



(١) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٧٧

- (١) أُرَانِي اليوم ميتاً فمن كانت بأكية علي فتبكي هذا اليوم.
(٢) لأني أسمع الآن بكاءها، فما بعد الموت إذا كنت علي النعش فلا أسمعها

(١) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٧٧ والديوان : ٢٣٦

- (١) الشرجع : النعش. يعلى بذكر المطارف : يلب بالأغطية الداكنة
(٢) خائف : مخوف. اسم الفاعل نائب نائب اسم المفعول
(٣) إذا فتلوا مضوا إل الجنان التي وعدهم بها القرآن.
(٤) قعصاً : طينا بالرماح وضربا بالسيوف. التناقب : جمع شوفة : الصحراء.
(٥) مقيله : مكانه بين الثور. وفي العقد لحمي وأصلحناه من الديوان : قري.

ملاحظة : ليست أبيات الطرماح من شرط كتابا في الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت، والقصيدة نظمها الطرماح في حياته وعاش بعدها طويلا

محمد بن يسير الرياشي

وقال محمد بن يسير^(١)

- (١) وَيَلُّ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ السَّارُ مَشْوَاهُ
(٢) وَالْوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَتَى يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
(٣) مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عَمْرُهُ وَعَاشَ فَمَاتَ قَصَارَاهُ
(٤) كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَخْلِسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيَهُ وَأَغْشَاهُ
(٥) صَارَ الْيَسِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ



أبو العتاهية^(٢)

ولما حضرت أبا عتاهية الوفاة، واسمه إسماعيل بن القاسم، أوصى بأن تكتب على قبره هذه الأبيات الأربعة :

- (١) أَذِّنْ حَيُّ تَسْمَعُنِي إِسْمَعُنِي ثُمَّ عَيَّ وَعَيَّ

(١) التخريج : البيان والنيب ٣ - ١٧٢ - ١٧٣ وتاج العروس مادة (يسر) وفيه : أبوجهم بن يسير البصري وهو القائل برثي نفسه ولي المقعد الفريد ٣ - ١٧٩ محمد بن بشر، ولعله تصحيف ولم يذكر صاحب المقعد من هو .
أهو :

(١) محمد بن بشر الخارجي

(٢) محمد بن بشر العلوي

(٣) محمد بن يسير الرياشي وفيه التصحيح.

ولم نجد هذه الأبيات في ديوان محمد بن بشر الخارجي جمع محمد خير الباعلي : دار قتيبة ١٩٨٥ والنسبة واضحة في البيان وتاج العروس لـ محمد ابن يسير الرياشي البصري وعليها اعتمادنا.

(٢) في البيان : يا حسرتي في كل يوم مضى

(٣) ورد في البيان.

(٥) وروي : محمد صار إلى ربه.

(٥) التخريج : المقعد الفريد ٣ : ١٨٠

وأبو العتاهية (١٣٠ - ٢١١ هـ) و (٧٤٨ - ٨٢٦ م) إسماعيل بن القاسم. شاعر مكر عباسي نشأ في الكوفة وسكن بغداد ثم اتصل بالخلقاء وعلت مكانته عندهم (الأعلام).

- (٢) أَنَا رَهْسٌ بِمَصْجَعِي فَاحْذَرِي مَثَلُ مَصْرَعِي
 (٣) عَشْتُ تَسْعِيسِينَ جَحَّةً تُسَمُّ وَأَقِيثُ مَصْجَعِي
 (٤) لَسِيَنَ شَيْءٍ سِوَى النَقْصِ فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي
 وعارضة بعض الشعراء في هذه الأبيات وأوصى بأن تكتب على قبره فكتبت وهي :
 (١) أَصْبَحَ الْقَبْرُ مَصْجَعِي وَمَحَلِّي وَمَوْصِعِي
 (٢) صَرَعَتِي الْخُتُوفُ فِي السَّيْرِ تَرْبِي يَا ذُلَّ مَصْرَعِي
 (٣) أَيَسَ إِحْوَائِي الدَّيْسُ ————— رَنَ إِلَيْهِمْ تَطْلُعِي
 (٤) مِتُّ وَخُذِي فَلَمْ يَمُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي



على قبر جارية

جاء في العقد الفريد (١)

وجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبي نواس ثلاثة أبيات، فقبل إحدا من قول أبي نواس وهي :

- (١) أَقُولُ لِقَبْرِ رِثْهِ مَتَلِّمًا سَقَى اللَّهُ بَرْدَ الْغَفْرِ صَاحِبَةَ الْقَبْرِ
 (٢) لَقَدْ غَيَّوْا تَحْتَ الثَّرَى قَمَرَ الدُّجَى وَشَمْسَ الضُّحَى بَيْنَ الصَّمَائِحِ وَالْغَفْرِ
 (٣) عَجِبْتُ لَعِينٍ بَعْدَهَا مَلَتْ الْبُكَاءُ وَقَلْبٍ عَلَيْهَا يَرْجِي رَاحَةَ الصَّبْرِ



(١) التخریج : العقد الفريد ٣ : ١٨٠
 (٢) العفر : التراب.

على قبر في الحيرة

جاء في العقد الفريد^(٥)

قال الأصمعي : أخذ بيدي يحيى بن خالد بن برمك، فأوقفني على قبر في الحيرة
فإذا عليه مكتوب :

- (١) إِنَّ بِي الْمَذِرَ لَمَّا انْقَضُوا بَحِثْ شَاذَ الْيَعْنَةِ السَّارَاهِبِ
- (٢) تَنْفَحُ بِالمَسْكِ مَحَارِيْهُهُمْ وَعَنْبَرٌ يَقْطُبُهُ قَطَاطِبُ
- (٣) وَالْخُبْزِ وَاللَّحْمِ لَمْ رَاهِرٌ وَقَهْوَةُ رَاوَوْقَهَا سَاكِبُ
- (٤) وَالْقَطَنُ وَالْكَنْثَانُ أَثْوَابُهُمْ لَمْ يَحْلِبِ الصَّوْفُ لَهُمْ جَالِبُ
- (٥) فَاصْبَحُوا قُوتًا لِدُودِ الثَّرَى وَالْدَهْرُ لَا يَتَّقِي لَهُ صَاحِبُ
- (٦) كَأَمَّا حَيَاتُهُمْ لَعْنَةُ سَرَى إِلَى بِي———نِ بِهَا رَاكِبُ



على بعض القبور

جاء في العقد الفريد^(٥)

قال الشيباني : وجد مكتوبا على بعض القبور .

- (١) مَلَّ الْأَحِبَّةُ زَوْرَتِي فَجَمِيتُ وَسَكَيْتُ فِي دَارِ الْيَلَى فَنُسِيتُ
- (٢) الْحَيُّ يَكْذِبُ لَا صَدِيقٌ لِمَيْتٍ لَوْ كَانَ يَصْدُقُ مَاتَ حِينَ يَمُوتُ
- (٣) يَا مُؤَسَا سَكَنَ الثَّرَى وَبَقِيتُ لَوْ كُنْتُ أَصْدُقُ إِذْ بَلِيتَ بَلِيتُ
- (٤) لَوْ كَانَ يَعْنِي لِلْبَكَاءِ مُفْجِعٌ مِنْ طَوِيلِ مَا أَبْكِي عَلَيْكَ عَمِيتُ



(٥) التخریج : العقد الفريد ٣ : ١٨٦

(٢) يقطبه : يقطعه ويجمعه.

(٦) بين : قال أبو حاتم : بين : موضع من الحيرة على ثلاث ليال.

(٥) التخریج : العقد الفريد ٣ : ١٨١.

(٣) يظهر أن قاتل هذه الأبيات يرثي صديقه مؤسا كما ورد في هذا البيت.

ملاحظة ربما كان ما كتب على القبور ليس من نظم أصحابها، وإنما هي من نظم إخوانهم وأصدقائهم في رثائهم.

محمد بن عبدالله

جاء في العقد الفريد^(١)

وقال محمد بن عبدالله :

- (١) وَغَمًا قَلِيلٌ لَنْ تَرَى بَاكِيًا لِمَا سَبَّحَكَ مَنْ يَكِي وَيَعْرِضُ عَنْ ذِكْرِي
- (٢) تَرَى صَاحِبِي يَكِي قَلِيلًا لِفُرْقَتِي وَيُضْحِكُ مِنْ طَوْلِ اللَّيَالِي عَلَى قَبْرِي
- (٣) وَيُحَدِّثُ إِحْوَانًا وَيَسْئَلُ مَوَدَّتِي وَتَشَقُّهُ الْأَحْبَابُ عَنِّي وَعَنْ ذِكْرِي



(١) التخریج : العقد الفريد : ٣ : ١٨١

(١) في المطبوعة أن ترى وأصلها ما

(٢) يحدث : محمد

هو محمد بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب وكان يلقب «المهدي» و«القرن الركبة» خرج على العباسيين وقتل في عهد أبي جعفر المنصور هو وأخوه إبراهيم ونظر أخيارهما في نظري وفي مصارع الطائيين

امرؤ القيس

قال امرؤ القيس بعد مقتل أبيه، يذكر ما سيصير إليه^(١) :

- (١) أرانا مَوْضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَتُسَخَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
- (٢) عَصَافِيرُ وَذَبَّانٌ وَدَوْدٌ وَأَجْرًا مِنْ مُجَلَّحَةِ الذَّنَابِ
- (٣) فَبَعْضَ اللُّومِ عَاذَلْتِي فَإِنِّي سَتَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي
- (٤) إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَيْئَانِي
- (٥) وَنَفْسِي سَوْفَ يَسْلُبُنِي وَجُرْمِي قِيلَاجُفِي وَشَيْكَاً بِالشَّرَابِ

ويروى لإمرئ القيس، وهو في أنقرة عند قبر فتاة من بنات الملوك، وقد أحسن
السم أنه قال^(٢) :

- (١) أَجَارَتُنَا إِنْ الْخَطُوبُ تَتَوْبُ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ غَسِيبُ
- (٢) أَجَارَتُنَا إِنَّا غَرِيبانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
- (٣) فَإِنْ تُصَلِّينَا، فَالْقَرَابَةُ يَتَنَا وَإِنْ تُصَرِّمِينَا فَالْقَرِيبُ غَرِيبُ



(١) التخرج : الديوان : ٢٨.

امرؤ القيس : أشهر من أن يعرف به.

(١) موضعون : سائرهم.

(٢) مجلحة الذناب : المصممة، يعني أننا على ضعفنا أشد جرأة من الذناب.

(٤) إلى عرق الثرى : إلى تراب الأرض. وشجت : اتصلت وتغلغل.

(٥) وشيكا : سريعا.

(١) التخرج : الديوان : ٣٤.

(١) غسيب : اسم جبل.

(٢) يعني أن القرابة نسب.

(٣) يعني أنه لا غربة مع الوصل. ولا قرابة مع المنع.

ملاحظات

على (المفرقات) في الكتاب

ليس من شرط الكتاب إلا ذكر الشعراء الذين اشتهروا برثاء أنفسهم قبل الموت، ومع ذلك :

أ - توسعت فذكرت بعض الشعراء الذين نظموا أبياتاً في حياتهم أو قبيل موتهم وإن كانوا غير مشهورين برثاء أنفسهم مثل امرئ القيس وأبي نواس ومحمد بن يسير وصريم بن معشر...

ب - أوردت بعض ما كتب على القبور ممن أوصى بكتابة أبياته على قبره بعد موته. كأبي العتاهية، أو ممن رثاهم أصدقاؤهم بعد موتهم وكتبوا رثاءهم لهم على قبورهم، وهذا الباب طويل لا ينتهي فاكتفيت بما ورد في العقد الفريد.

ج - تركت الشعراء المشهورين الذين أوردتهم صاحب العقد والذين رثوا أنفسهم قبل موتهم مثل يزيد بن خذاق، ومالك بن الربيع وهديبة بن الحشرم، لأنني ذكرتهم في فصول خاصة بهم.

عبدالمعين الملوحي

الفهرس

صفحة	
٥	المقدمة
٩	يزيد بن خذاق
١٣	بشر بن أبي خازم
٢١	طرفة بن العبد
٣١	صرم بن معشر (أفون)
٣٥	عبد يغوث بن صلاءة
٤١	قيس بن الخدادية
٤٧	خبيب بن عدي
٥٥	سحيم عبد بني الحسحاس
٦٣	هذبة بن الخشرم
٧٥	مالك بن الريب
٨٣	مرة بن محكان
٨٩	جعفر بن علبة
١٠١	أبونواس
١٠٥	نسيم بن جميل السدوسي
١١١	الحلاج
١٢١	الطغرائي
١٢٥	متفرقات
١٢٧	أبو ذؤيب الهذلي
١٢٨	عروة بن خزام

١٢٨	الطرماح
١٢٩	محمد بن يسير
١٢٩	أبو العتاهية
١٣٠	على قبر جارية
١٣١	على قبر في الحيرة
١٣١	على بعض القبور
١٣٢	محمد بن عبدالله
١٣٣	إمرؤ القيس
١٣٤	ملاحظات
١٣٥	الفهرس

